مقالات في النقد المعاصر

الأدبية والاجتماعية والفكرية والثقافية

الدكتور
محمد عويد الساير



بسم الـلـه الرحمن الرحيم

مقالات في النقد المعاصر

الأدبية والاجتماعية والفكرية والثقافية

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية (2012/10/2665)

الساير ، محمد عويد

مقالات في النقد المعاصر الأدبية والاجتماعية والفكرية والثقافية/ محمد عويد الساير
عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2012
( ) ص
ر.أ: (2012/10/2665).
الواصفات:/ الشعر الأدب العربي// النقد الأدبي

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN 978-9957-555-81-8



تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله   مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
تلفاكس : 5353402 6 962+   خلـــوي : 95667143 7 962+
ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن   E-mail: darghidaa@gmail.com

مقالات في النقد المعاصر
الأدبية والاجتماعية والفكرية والثقافية

الدكتور

محمّد عويّد السّاير

كلية التربية للعلوم الإنسانية

في جامعة الانبار بالعراق

الطبعة الأولى

2013 م - 1434 هـ

الإهداء......

إلى الصغيرة نور محمّد الساير،

والى الأندلس العظيمة،

أنتما أكثر الأسماء ترددا في الحياة،

فعلّكما لاتنسياني حيا وميتا.

المحبّ لكما محمّد.

الفهرس

مقدّمةُ الكتاب

المقالة جنس أدبي نثري ظهر في القرن الماضي، في مصر ولبنان والشام والعراق، وانتقل إلى باقي الدول العربية، حتى اصبحت تنافس باقي أشكال الأدب، ولاسيما القصيدة والمسرحية والرواية. إن لم تتفوق عليها وتتغلب.

والمقالة. فكرة وموضوع.فمن جهة الفكرة، فهي تطرح شيئا ما يريده الكاتب، ويسعى لبيانه للمتلقي وللقارئ، تخصّ مجتمع الكاتب أو حياته الشخصية، وأحداثها وملابساتها.

ومن جهة الموضوع، فهي إما تكون مقالة سياسية، أو مقالة اجتماعية، أو مقالة أدبية، أو مقالة نقدية، أو مقالة فلسفية، أو تعرّف بكتاب، أو جهد، أوتحكي سيرة شخص مهم للكاتب ولعصره، أو آثار ذلك الشخص، أو تحلل قصيدة أونصًا شعريا، أو تشرح رواية، والى غير هذه الموضوعات التي عرفت بالمقالة، وقرأ فيها الناس هذه المسميات، ومفهومها، وآثروها بالعناية والمتابعة على باقي أجناس الأدب، مارّة الذكر والتفصيل.

ولعلّ سائلا يسألنا، وذلك من حقّه، ما الفرق بين المقالة الأدبية والمقالة النقدية؟ فنقول:إنّ المقالة الأدبية غالبا ما تختصّ بأمور التراث، أو المعاصر المرتبط بالتراث.وأمّا المقالة النقدية فهي التي تلك التي تخصّ الشكل الجديد من أنواع النظم والقصيد، أو النص الروائي، أو قصيدة النثر ومن هنا فرّقنا باجتهاد شخصي بين هذين النوعين من المقال.

إنّ النقد المعاصر - البنيوي والأسلوبي- ظهر من خلال المقالة النقدية وقد عرّفت هذه المقالة بهذه النصوص، ولاسيما في قصيدة النثر، وأشهرت أصحابها وكاتبيها، ومن هنا استحقت المقالة هذا الدور الريادي الكبير على الساحة الأدبية في القرن الماضي

والقرن الحالي، وسارت جنبا إلى جنب مع الشعر والرواية في الشهرة، والمتابعة والاهتمام من قبل القرّاء والباحثين والدارسين.

ولابدّ للمقالة من عنوان يختاره كاتب المقالة، ولابدّ للعنوان أن يوافق فكرة المقالة ومضمونها، اللذين يريدهما الكاتب من مقالته، ومن عنوانه الذي أختاره لهذه المقالة.

ولابدّ أن تكون المقالة مكتوبة بلغة صحيحة وسليمة ومفهومة، بعيدة عن الإطالة والتكرار والملل الذي ينتج منهما، وان تكون سهلة الشرح والمضمون، لا أن تتكون من النقاط المتسلسلة أو الكثيرة والمعقدة، إذ تفقد تركيز القارئ وتجلب له الكره لها ولصاحبها وناشرها.

إنّ هذه المقالات لهي جهد سنين طوال لصاحبها، وقد نشرت في صحف ومجلات عراقية كثيرة، تابع فيها الأحداث الأدبية التي جرت على الساحة العراقية، وتكلم فيها عن أساتذته، أو ما شاهده، أو ماسمعه، فكانت مقالته متنوعة وشاملة- كما سيلحظ القارئ الكريم- للأمور الأدبية والاجتماعية والفكرية والثقافية.

وقد خلت هذه المقالات من الأمور الدينية، ومن الأمور السياسية تماما، إذ إنّها ليست من شأن الكاتب، وكثيرا ما يحرص على مجافاتهما، وتركهما للغير، ممن يختص بهما أو يعرف بكتابتهما، ومن الله التيسير، انّه نعم المولى ونعم النصير.

الدكتور محمد عويد محمد الساير

الثعالبيّ (ت 429 هـ). .. شاعراً

الثعالبي شخصية أدبية وآثارية مشهورة. وهـو مصـنف بـارع، وأديـب ذو أدب فـائق، غطَّت شهرته الآفاق، وانزاحت كتبه في كل الأمصار، وهي ما تـزال تحقَّـق وتُطبـع وتُـنشر إلى يومنا هذا وقد زادت على المائة عنوان بين مصنف واثر ورسالة وكتاب.

والحقيقة غطَّت هذه الكتب على شهرة الثعالبي الأدبية، وعلى قوله الشـعر. وشـعره لا يتعدى المجموع البسيط الذي ظهر في الشعر العباسي وفي عصر المتنبي والمعري، ومن هنـا أحببتُ أن يكون هذا المقال تعريفاً بشعر الثعالبي وببعض خصائص شـعره، وأتمنـى أن ينـال هذا الشعر جهداً أوسـع، ومسـاحة اكـبر مـن الدراسـات الأدبيـة تبـين قيمـة شـعر الثعـالبي، وأغراضه، واتجاهاته، ودلالاته.

والمقال - وهذا مـن البداهـة – لا يسـتطيع حصر الشـواهد كلهـا في أغـراض الثعـالبي الشعرية، ولا أن يعمل المسارد والجداول الخاصة بهذه الشواهد وذلك الشعر. وإنما سـيكتفي بالدراسة الوصفية لبعض الشواهد والإحالة على نماذجها المماثلة قدر الإمكان والمستطاع.

طرق الثعالبي اغلب الأغراض الشعرية التي عُرفـت في الأدب العـربي فمـن هـذه الأغراض ما جـاء ليـبرز علاقتـه مـع الآخـرين وكمنـت هـذه الأغـراض في المـديح والرثـاء والغزل. ومن هذه الأغراض ما أباح عن مكنون عواطف الشاعر – الثعالبي – وهتـك سرَّ مشاعره وذلك ما كمن في غـرض الوصـف بأنواعـه، وذكـر الأمكنـة المختلفـة ومظاهرهـا الكثيرة. ومن هذه الأغراض ما بيَّن علاقة الثعالبي مع الزمن وصروفـه وتقلُّباتـه وهـو مـا جاء في شعر الحكمة والشكوى، ومنها ما أباح عن علاقاته الاجتماعيـة كالتهنئـة بأنواعهـا ودلالاتها. وبعض مقطعات الحنين إلى أيام الصبا ومعاهد الشباب وذكريـاتهم. وأخـيراً مـا

جاء من هذه الأغراض الشعرية وقد خُصِّص للشعر الديني، أو قل الشعر الذي قاله الشاعر في المناسبات الدينية المختلفة التي تمر على الأمة المسلمة في كلِّ مكان، كالشعر الذي يُقال في التهنئة بعيد الفطر، وأيام رمضان المبارك... وهلم جرَّاً.

إذا جئنا إلى المعاني المدحية في شعر الثعالبي وجدناها لا تخرج عن معاني المديح التقليدية من كرم وشجاعة وعدل ووفاء. ولكن الثعالبي عبَّر عن مشاعره الفيَّاضة بهذه الصفات والخصائل لممدوحيه - الأدباء والحكام - من خلال المقطوعة التي هي اغلب شعره بل ؛ جلُّه. وتُحسب له هذه البراعة في هذا الغرض الذي غالباً ما يأتي مع البحور الطويلة والقصائد الكبيرة - نسبياً - كما أن ألفاظ الثعالبي وصوره - في هذا الغرض وفي غيره - اختلفت عن ألفاظ وصور الشعراء الآخرين وهذا ناجم وكما قال الدكتور محمود عبد اللـه الجادر - يرحمه اللـه - محقِّق الديوان عن تعلُّقِ الثعالبي ببيئته وشدَّة ولعه بمكانه، وذلك ما نلحظه في شعره بأغراضه المختلفة. يقول الثعالبي في بعض مقطَّعات المديح هذه:

أقول إذا سألوني عن مروءة من ... ما لا يُقاسُ بأندادٍ وأكفاءِ

محمدٌ لمروءات الأنام غدا ... كالزندِ للنارِ والينبوعِ للماءِ

(ديوان الثعالبي: تحقيق د. محمود عبد اللـه الجادر، بغداد، ط1، 1990: ق3)

ويقول مادحاً أبا العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه:

شيئان واللـهِ ما أملُّهما ... وليس لي في سواها اربُ

فإنْ تَقُلْ ما هما؟ أجِبْ وأقلْ ... باب خوارزمشاه والأدبُ

(ق 10 وللمزيد من هذا الغرض يُنظر: ق20، ق23، ق42، ق50، ق52، ق55، ق63، ق 72، ق74...).

أما عن الغزل فقد جاء بنوعيه: الغزل بالأنثى والغزل بالمذكر، وقد كثر هذا الأخير في شعره وتعدّى إلى الوصف يدل على الإعجاب والاستحسان على نحو ما يأتي في شعر الوصف من ذكر الملاحة في الغلمان والنعومة فيهم والدلال وحسن المنظر والمنطق.

وجاء غزل الثعالبي بين أحضان الطبيعة، وهذا أمر مستحسن في مثل هذا الغرض الشعري. إذ غالباً ما تأتي مقطّعات الغزل - وهي كثيرة في شعر شاعرنا الثعالبي - في مظاهر الطبيعة وبين مباهجها وأشجارها وأنهارها وأزهارها. .. وما إلى ذلك. يقول الثعالبي من مقطّعاته الغزلية:

فديتُك يا أتمَّ الناس حُسْنَاً	وأصلحهم لمتخذٍ حبيبا
فوجهك نزهةُ الأبصار حسناً	وصوتك متعة الأسماع طيبا
وسائلةٍ تسائلُ عنك قُلنا	لها في وصفك العجبَ العجيبا
رنا ظبياً وغنى عندليباً	ولاحَ شقائقاً ومشى قضيبا

(ق11)، ويقول أيضاً:

ريقُ الحبيبِ كريقِ المُزنِ والعنبِ
أذاقني ثمراتِ اللهو والطربِ
وقد سبت مني الأيام صفوتها
فكيف أهربُ منها وهي في طلبي

(ق 13وللمزيد من هذا الغرض ينظر: ق15، ق16، ق25، ق38، 90،...)

وأظنُّ أني لست بحاجة إلى تكرار مسوغات الوصف ومبررات قول الشعر فيه، بعدما عرفنا ما للبيئة والطبيعة من أثر مهم وكبير في حياة أديبنا الثعالبي وفي شعره. وهذا ما جعل هذا الغرض ينثال بين أغراضه الشعرية المختلفة انثيالاً هادئاً ومتوقعاً. كما انه جاء في مقطعات خاصة، فمنها ما جاء في وصف بركة كما رأها، هاك قوله فيها:

أيـــا طيـــبَ عـــيشي أرى بركـــةً تســـــوقُ إلى روضـــــها ماءَهـــــا

إذا أنـــت واجهتهـــا في الـــدجى حســـبتَ الكواكـــب حصـــباءَها

(ق1)، وقوله في الربيعيات:

طلـــــعَ الربيـــــعُ بطلعـــــةِ السراءِ إذا جاءَنــــا بالنعمــــةِ البيضــــاءِ

فـــــابرزْ إلى الصـــــحراءِ في أيامـــــهِ حتـــى تـــرى الغـــبراءَ كـــالخضراءِ

واشربْ على الحمراءِ والصفراءِ من صـــهباءَ تـــذهبُ غُمَّـــة الســـوداءِ

(ق4)، وقوله في غلام مليح:

قـــــالوا تشـــــوَّكَ خـــــدَّاه وشـــــاربُه

فقلـــــتُ لا تنكـــــروا مـــــا لـــــيسَ بالعجـــــبِ

الشـــــوكُ في شـــــجراتِ الـــــوردِ محتمـــــل

والشـــــوكُ لا عجـــــبٌ في مجتنـــــى الرطـــــبِ

(ق12)، وله مقطعات في وصف غلامين على هذه الشاكلة (ينظر: ق66، ق75، ق77، ق80، ق95، ق127، ق129). وكل هذه المقطعات برزت جمال وجه هذا الغلام، أو قصَّتْ مغامرة معه، أو وصف لونه وشكله ومنطقه أي أن بعض من هؤلاء الغلمان كان شاعراً، وهذا ما أدعى أوصافاً أُخرى للثعالبي فضلاً عن حسن اللون والمنظر والهيئة والشكل.

ومن الأوصاف الأخرى التي جاءت في شعر شاعرنا الثعالبي وأثبتت مقدرته وتمكنه من غرض الوصف ما قاله في وصف الليالي (ق2، ق18، ق68، 69) وكذلك ما قاله في وصف الحيوانات (ق51، ق57، ق123). وما قاله في وصف الضياع وما فيهن (ق92، ق99، ق100. ..)، وما وصف به بعض المظاهر الكونية كقوله في وصف الريح (ق17)، وقوله يصف الماء الأزرق (138)، وقوله يصف كسوفاً للبدر (ق83)، وكل هذه الأوصاف وغيرها جاءت في شعر الثعالبي، مما ميزت شعره بالصور الحية، المفعمة بالحركة والألوان وتركت مقطعاتها في سحر لفظي وتركيبي وموسيقي جعلته في مصاف الشعراء الوصافين على الرغم من قلَّة شعره، ومجيء أكثره على شكل مقطعات.

وعن الرثاء؛ فقد قلَّ كثيراً في شعر الثعالبي، ولم يأت بين مقطعاته وقصائده إلاَّ في القليل النادر. ولعل مرد ذلك لأسباب كثيرة منها وأهمها أن أغلب شعر الثعالبي في المقطعات وغرض الرثاء – وكما هو معلوم للجميع – لا يكتفي بالمقطوعة لسرد أوصاف المرثي أو المرثية وذكر خصاله أو خصالها. ومن هذه الأسباب أيضاً أن الثعالبي عرف بعض الأغراض الشعرية الأخرى في شعره التي تشابه الرثاء في مضمونها ومعانيها كالحكمة والشكوى، ومثل هذه الأغراض قد تكون غطَّت على معاني الثعالبي الرثائية، وقد يكون الثعالبي هرب من الرثاء وأحزانه إلى مثل هذه الأغراض التي تتضمن شكوى

الدهر والزمان من فقد الأحباب والأهل والحكمة من هذا الفقد وكيف العيش بدون صديق أو سمير مع كثرة الخطوب والنوازل.

ومن أشعاره في الرثاء قوله في تعزية الأمير خوارزمشاه عن ابن له:

قُـــلْ للمليـــكِ الأجـــلِّ قـــدرا لا زلـــتَ بـــدراً تحـــلُّ صـــدرا

إني أعزيـــــكَ عـــــن عزيـــــزٍ كـــان لريـــبِ الزمـــانِ عُـــذرا

وكـــان طهـــراً فصـــار أجـــراً وكـــان ظهـــراً فصـــار ذخـــرا

(ق71)، وقال في رثاء السلطان محمود الغزنوي:

عجبـــاً مـــن تماســـكِ الافـــلاكِ ومســـاغ الـــزُّلالِ في الاحنـــاكِ

وثبـــاتِ الجبـــالِ بعـــد زوال أل طـــودِ ذي الطـــولِ مالـــكِ الامـــلاكِ

فلســانُ الزمـــانِ شـــاكٍ وطـــوف أل دهـــرِ بـــاكٍ والـــرزءُ في الملـــكِ نـــاكِ

(ق147)، وله مقطعات في الحكمة. وفي هذه المقطعات العظة من التجارب مع الناس، والتحرز منهم، والخوف من الدهر وتصاريفه، وعدم الحرص على الدنيا وزينتها. وقد جاء الثعالبي بهذا الغرض على الغاية من البراعة في اللفظ والمعنى، ودقة استعمال الصور، وحسن استعمال البديع وأثره الصوتي في المقطعات ولاسيما في هذه الأغراض.

وله أشعار في الخمر (ينظر: ق37، ق69، ق94، ق108، ق117، ق131، ق135، ق155،...)، وفي الحنين (ينظر: ق27، ق28)، وله في التهنئة بقدوم شهر رمضان المبارك (ق151)، والتهنئة بمولود جديد (ق161)، والتهنئة بدار جديد (ق189).

وهذه الأشعار عكست الحياة الاجتماعية للعصر العباسي الذي عاش فيه الثعالبي، وبيَّنت جوانب مهمة من تلك الحياة في مظاهرها المختلفة، وأحداثها المتنوعة.

ولا يعني أن الثعالبي الذي عرف شعر الشكوى والرثاء والحنين والحكمة أنه شاعر حزين، أو أن مظاهر الحزن بادية في شعره وظاهرة عليه، فقد عُرف في شعره بعضاً من مظاهر الهزل والإمتاع، وجاءت أيضاً في شعره بعض الأحاجي والألغاز (ينظر: ق61، ق67، ق93...)، وهذا دليل آخر على سعة تصوير المناحي الاجتماعية في شعر الثعالبي وكبير عنايته بها.

ومثلما جاء المكان الطبيعي والمكان الأليف في شعر الثعالبي جاء المكان المعادي في شعر الشاعر أيضاً. فله مقطعات - وقصائد أيضاً - في وصف هذا المكان المعادي المظلم، وبيان أثره في مَن أُودع فيه، أو سكنه. (ينظر: ق29، ق45، ق87). وجاءت هذه الأشعار في وصف هذا المكان، والحديث عن عظم المصيبة والمأساة لمن كان نصيبه في الدنيا، وكذلك قدم الثعالبي حكمته في الموعظة من هذه المصيبة، والتقرب إلى الله - عز وجل - لكشفها، وجاء بالتسلية والتصبر للمسجون حتى يتم الله عليه الفرج والخروج وفي ذلك تجربة معيشة من رجل عرف كل شيء في هذه الدنيا خيرها وشرها حقها وباطلها جيدها ورديئها كيف لا وهو الثعالبي الذي عرف أكثر البلدان وأكثر الأشخاص وكتب عنها وعنهم، وألَّف فيها وفيهم.

وفي الختام يسعدني أني برزت شعر مصنف وآثاري وإخباري كبير شهدت له الأمصار والأماكن بسعة علمه، وعظيم ذاكرته، وكبير فهمه وحفظه. وهذه الدراسة لا تسع كل شعر هذا الشاعر والمصنف والآثاري والإخباري، ولعلِّي أعود إلى هذا الشعر يوماً لدراسته دراسة مفصلة كالدراسات التي تتناول المستويات المعروفة كالتركيبي،

والصوتي، والدلالي. أو دراسة القيم الجمالية في شعره في المقطعات وما إلى هذه العنوانات.

كما أني أرجو الباحثين والدارسين الاهتمام بهذا الشعر، ووضعه في المكانة اللائقة والمستحقة التي يستحقها الثعالبي ويعرف بها، فكم من رسالة تناولت الشعر العباسي في عصره ولم تحوِ - وللأسف الشديد - شعر الثعالبي بين الدواوين المستخدمة والمجموعات التي ضمتها قائمة المصادر في نهاية تلك الرسائل والاطاريح.

ولا يسعني أخيراً إلاّ أن أقف وقفة إجلال واحترام ودعاء بالرحمة، والمغفرة لأستاذنا الكبير الأستاذ الدكتور محمود عبد الله الجادر - يرحمه الله تعالى - محقق الديوان، ومبرز آثار الثعالبي، فله وللمصنف كل التقدير والتحية، وعليهما ألف ألف رحمة، وأظنُّ أني أطلت عليكم، فيا رب حسن الختام والسلام.

(الخطوات والمنهج) في آثار عباس هاني الجراخ.

اثبت الأخ المحقق، والدكتور المؤلف عباس هاني الجراخ نفسه في التأليف، والتصنيف، وعمل الفهارس على الساحتين العراقية والعربية، فله اليوم أكثر من ثلاثين مؤلفاً في العلوم والفنون المختلفة، وخطواته التي يجب أن تُتبع، ومناهجه التي اصبحت قواعد للباحثين والدارسين والمحققين يجب الاطلاع عليها، والأخذ منها، والسير على خطواتها.

وقد حقق الدكتور الجراخ أكثر من مخطوطة على أصولها ونسخها التي عثر عليها من الأصدقاء، أو من المكتبات الخاصة والعامة. وفي التحقيق سار المحقق الجراخ على خطوات التحقيق الأصولية والعلمية، في:

- إثبات أهمية النص المحقق، والجدوى من تحقيقه وإصداره، وإشهاره للناس وهو في هذا الشأن يستغرق الصفحات الطوال في الحديث عن هذه الأهمية، وهاتيك الجدوى، بأسلوب علمي وأدبي بليغ لا يُملُّ ولا يسأم.

ويصل في هذا الحديث إلى نتائج ملهمة، توجب الاقتناع بها وتأييد صاحب الكتابة فيها، ومن ثمَّ ينتقل إلى الفِقر الآتية من الدراسة.

- إثبات براعة المصنف، وتفوقه في التأليف ولاسيما في الكتاب الذي يحققه له. وهو بهذا يؤيد الفقرة الأولى، ويأتي لنصه المحقق، ولمصنفه بالتميز والاستحقاق مما يجعلنا في قناعة تامة بضرورة إخراجه، وبذل الجهد والوقت والمال والسؤال

في سبيل تحقيق هذه الضرورة، ورؤيتها واقعاً ملموساً وشاهداً واضحاً عنده وعند الآخرين.

- الحديث المطول العلمي والمنهجي عن صاحب المخطوط. وهو في هذا يتكلم عن حياة المصنف من (اسمه، رحلاته، ولادته، وفاته، وأهم آثار المؤرخين والأدباء في حياته وآثاره). ومن ثمَّ ينتقل للحديث عن آثار المصنف - إن كانت له آثار - ويقسمها إلى: المطبوعة، المخطوطة، المفقودة.

ويأتي بالحديث عن كل فقرة بالتوثيق، والنقد، والإضافة لما ذكره القدامى والمحدثون في اسم هذا الكتاب أو ذاك، ولما حققه فلان، أوصدَّره آخر.. وهلم جراً.

- في الحديث عن المخطوطة، يأتي الدكتور الجراخ بابتكارات علمية جديدة فهو يوسع الحديث عن المصنفات التي أثّرت في المخطوط الذي يحققه، ومن ثمَّ التي تأثَّرت به. وكذلك المخطوطات، والإصدارات التي حملت عنوان الكتاب نفسه، أو الذي يشابهه في الفكرة والمنهج والمضمون.
كل هذا الحديث يكون بالأدلة العلمية، وبالاستدراك والإضافة، والتوثيق، والتفصيل، ومناقشة آراء الآخرين من محققين وباحثين، وتأييدها أو الرد عليها.

- ومنها يصف المخطوطة وصفاً منهجياً دقيقاً، ويذكر أماكنها، وكيف حصل عليها ومتى، ويثبت نماذج من مصورة كل مخطوطة- إذا كان هناك أكثر من مخطوطة- ولاسيما صفحة العنوان، والورقة الأولى والورقة الأخيرة.

وإن كانت هناك طبعات قديمة وحجرية للمخطوط الذي يحققه يشير إليها، ويبين مدى الإفادة منا، وإن كانت هناك طبعات محققة للمخطوط الذي يحققه يشير إليه، ويُعرِّف به، ويذكر الأسباب التي دعته لإعادة التحقيق، وكيف يعد التحقيق الأول ساقطاً

من النواحي العلمية والمنهجية الحديثة التي اقرها أهل هذه الصنعة وشهد لها الجميع، وانصاع لخطواتها في التحقيق والتوثيق، والإخراج.

ومن أهم تحقيقاته في هذا المجال:

- محاضرة الأديب ومسامرة الحبيب: علي الحلي (ت1335هـ).
- معجم الشعراء: للمرزباني (ت 384هـ).
- جمهرة نسب قريش وأخبارها: للزبير بن بكار (ت 256هـ)، جزءان.
- تقريظ مناظرة الحرمين: للفيروز آبادي (ت 817هـ).
- ذيل مرآة الزمان: لليونيني (ت726هـ).
- الشفاء في بديع الاكتفاء: لمحمد بن حسن النواجي (ت 859هـ).
- فضُّ الختام عن التورية والاستخدام: للصفدي (ت 764هـ).
- المقصد الأتم في شرح لامية العجم: لكمال الدين الدميري (ت808هـ) بالمشاركة.
- ديوان سيف الدين المشد (ت 656 هـ).
- الورقة: لمحمد بن داود الجراح (ت 296 هـ).

ومما يلحق التحقيق أيضاً جمع الشعر وتوثيقه وتخريجه ودراسته، وقد استطاع الدكتور الجراخ أن يُضيف كلمة تحقيق لهذا الجمع والتوثيق من خلال أطروحته العلمية الكبرى الموسومة بـ: (تحقيق النصوص الادبية واللغوية ونقدها في العراق). ومن خصائص جمع الشعر وتحقيقه لديه أنه يأتي بالدراسة الشاملة والكاملة والتامة للشاعر الذي يجمع شعره. ويتحدث عن أهمية جمع شعره، ومن ثمَّ يضع الدراسة المفصلة لهذا الشعر المجموع من النواحي الموضوعية، والصنعة الشعرية، والموسيقى. .. وغير ذلك.

والدكتور الجراخ أمين جداً، ومحافظ ثقة عندما يتحدث عن جهود الآخرين الذين سبقوه في جمع شعر الشاعر الذي يجمعه، كما أنه يذكر الأسباب التي دعته لإعادة الجمع، وما في الجمع من هنات، وسقطات، وملاحظ، وما في الجمع الجديد من ميزات، وإضافات، واستدراكات.

ولعل من أهم جهوده في هذا المجال:

- يوسف بن زيلاق الموصلي (ت 660هـ)، حياته وشعره.
- شعر محمد بن داود الأصفهاني (ت297 هـ).
- موفق الدين القاسم بن أبي الحديد (ت 656هـ)، حياته وشعره.
- شعر يوسف بن لؤلؤ الذهبي (ت680هـ).
- أحمد بن علي بن معقل الأزدي (ت644هـ)، سيرته، شعره، موقفه من ابن جني.
- شعر ابن النقيب الفُقيسي (ت 687هـ).
- شعر تقي الدين السروجي (ت693هـ).
- شميم الحلي (ت601هـ)، - حياته وشعره -.
- علي ابن البطريق الحلي (ت642 هـ)، - حياته وشعره -.
- شعر الزبير بن بكار (ت256هـ).
- شعر يعقوب بن صابر ألمنجنيقي (ت626هـ).
- شعر ابن العرندس الحلي (ت840هـ).
- شعر الحلة في القرن السابع الهجري... وغيرها كثير.

إذا أتيتُ إلى نقد التحقيق، وسماته، وأصوله. فيعدُّ الدكتور عباس من أوائل المهتمين بهذا العلم. ومِن أهم مَن ألَّف. ويعُّد كتابه القيم (في نقد التحقيق) الذي طُبع في

العراق وسوريا، من أجلِّ وأكبر الكتب المؤلفة في هذا الشأن. وقد شهد الجميع من باحثين ودارسين ومحققين ومؤلفين بنفاسة هذا الكتاب، وما أدَّاها في الساحة الأكاديمية من صدىً طيب، وأثر جميل، يحق لنا جميعاً أن نفخر به، وأن نعتز بمؤلفه، وقد كتبت عنه الدكتورة نادية العزاوي (أستاذة الأدب العباسي في الجامعة المستنصرية) وأشادت به وبقيمته، وعلم صاحبه، كما أشاد به وذكره الدكتور صباح نوري المرزوك، والدكتور سامي علي جبار المنصوري، والدكتور أحمد حاجم الربيعي، والأستاذ المحقق عبد العزيز إبراهيم، والدكتور محمد عويد الساير. ..وغيرهم.

أمَّا عن خطوات ومنهج الدكتور الجراخ في نقد التحقيق، فهي:

- يذكر الكتاب المحقق الذي يريد تحقيقه، وطبعاته ومن حققه بالاشتراك، أو إذا كان هناك أكثر من محقق، وأين نُشر ومتى، وهل أُعيد نشره، فإن أُعيد فإنه يهتم بآخر الطبعات والنشرات، نقداً وتعليقاً وتتمة.

- يذكر النسخ الخطية التي فات المحقق الاطلاع عليها، وما فائدتها لو اطلع المحقق عليها، وما فيها من جديد وإضافة للنص المحقق ولمحققه.
- الزيادة في التخريجات الجديدة على وفق آخر المظان الأدبية والعلمية الصادرة.
- تبيان سقطات المحقق، وهناته في النص المحقق، وتقصيره في ترجمة شخص، أو حدث، أو التعريف بمكان، أو عزو الشعر ونسبته لصاحبه. وما إلى غير ذلك من الفقرات العلمية والمنهجية المهمة.
- ملاحظة الفهارس التي يعملها المحقق، ومدى إفادتها للكتاب المحقق، أو للقارئ، وما بذله المحقق في سبيل عملها، ثناءً أوتقصيراً ولوماً.

- إذا كان هناك أكثر من تحقيق فإنّـه يـوازن بـين النصـين المحققـين ويخـرج بنتـائج مهمة تجعلنـا أقـرب إلى الـنشر العلمـي والمنهجـي لأحـد النصـين، ونشـيد بفضـل صاحبه، وحسن صنيعه في التحقيق والدراسة.

ومن آثاره في هذا المجال فضلاً عن كتابه (في نقد التحقيق):

- فوات الدواوين.
- نغال الإيغال.
- تحقيق النصوص الأدبية واللغوية ونقدها في العراق.
- مناهج تحقيق المخطوطات.
- نظرات نقدية في كتب التراث.
- في نقد التأليف.
- معجم الدواوين المحققة في العراق.

أخيراً ؛

أتمنى للأخ أبي حوراء الدكتور عباس هاني الجراخ التوفيق الدائم، والتـألق المسـتمر في سبيل نشر وتحقيق الكثير من المخطوطات، وشعر الشعراء، وكتابة الدراسات القيمة والجـادة التي تتناول الكتب المحققة والمؤلفة، نقداً واستدراكاً، وإضافة، وتعليقاً، وفهرسة، وتتمة.

وآخراً ؛

أتمنى من الجميع أن يشـمروا عـن سـاعد الجـد ليكونـوا كـأخيهم الـدكتور الجـراخ – والكلام موجه لأخوتي في العراق – فإنه علم يستحق الفخر به، وبنتاجه، ولنكن اصـلاء أوفيـاء في البحث والتأليف، وأن نكفَّ عن الكلام والثرثرة التي لا فائدة منهـا، فإنمـا العلـماء بآثـارهم وما يؤلفون. ومن الـلـه السداد والتوفيق.

عنايةُ العراقيين بآثار الثعالبي. .. تعريفٌ وتصنيفٌ.

هذا مقال تعريفي ومختصر شمل عناية العـراقيين بآثـار الثعـالبي الأديـب والمصـنف ولأخباري والشاعر.

وقولي تعريفي ومختصر يستحق التوضيح والتفصيل. فـالتعريف لأن المقـال لا يتسـع لكل ما كتبه العراقيون عن هذا الأديب الأريب، والمصنف الحجة. وقـولي مخـتصر لأن المقـال هو مفتاح لبحث كبير سيأتي في قابل الأيام لصاحب هذه السطور، وسمه بـ: (الثعالبي في آثـار الدارسين العراقيين)، فيه تفصيل أكـثر، وعـرض اكـبر لمـا نشره العراقيـون مـن كتـب الثعـالبي ومصنفاته، ومحققوه من هذه الكتب والمصنفات.

ولذا سيكون هذا المقال مبسطاً وموجزاً للحـديث عـن أهـم تلـك الآثـار التـي نشرت بتحقيق عراقي، وجهد عراقي، نال العنايـة والإعجـاب في أغلبهـا. وكـذلك هـو تصـنيف لهـذه الآثار، وأشبه بالفهرسة لها على أنه – المقال – سيبتعد عن بعض البحوث والرسائل الجامعية ؛ أنه –كما أسلفت –لا يتسع لكل هذه الجهود الكبيرة في نشر آثـار الثعـالبي، ولتـوافر البحـث الآخر الذي سيضمها ويوسع الحديث عنها وعن جهود أصحابها وكاتبيها.

بدءاً، هناك من اختص بآثار الثعـالبي مـن العـراقيين وفي مقـدمتهم الأسـتاذ الـدكتور محمود عبد اللـه الجادر – يرحمه اللـه –، وكذلك أسـتاذنا الكبـير وشـيخ المحققـين العـرب الأستاذ هلال ناجي – عليه رحمة اللـه – فلهـم في آثـار الثعـالبي أكـثر مـن مصـنف محقـق ودراسة وكتاب.

كتب الدكتور الجادر – يرحمه اللـه – رسـالته للماجسـتير في أدب الثعـالبي ونقـده. وهي دراسة – في وقتها وإلى يومنا هـذا – تشـهد لباحـث عراقـي بالأصـالة والتميـز والإبـداع

والقدرة على النقد، والتحليل والتقويم. وقد طُبعت هذه الرسالة في أكثر من مكان واحد في بغداد وبيروت، ونفدت هاتان الطبعتان من الأسواق لجهدهما الكبير، وبراعة مؤلفها في استنطاق المصادر المهمة، وإبراز الثعالبي الأديب الناقد كما حملت هذه الرسالة هذا العنوان وكما جاءت في الكتاب المطبوع.

قدم الجادر لكتابه: (الثعالبي أديباً وناقداً) بدراسة مهمة وكبيرة عن الشاعر والأديب والناقد الثعالبي اتبع هذه الدراسة بقائمة من آثار الثعالبي التي بقيت منهلاً مهماً، ومصدراً حقيقياً للباحثين الذين جاؤا بعده والذين اعتنوا بآثار الثعالبي دراسة وتحقيقاً ونشراً.

ومن ثمَّ جاءت الدراسة النقدية والادبية المتمثلة بدراسة شعر الثعالبي من النواحي الموضوعية والخصائص الفنية والأسلوبية - على عهد المؤلف - وكانت دراسة جادة شهد لها الجميع من باحثي الأدب العربي ودارسيه، وكذلك وكذلك كان طريقاً مهماً للباحث - رحمة الله عليه - في كتبه اللاحقة التي كانت تعنى بتحليل النص الشعري العربي - ولاسيما الجاهلي - وتبرز فيه مواطن الإبداع والجمال والتميز.

وجاءت بعدها آثار الثعالبي التي حققها الدكتور الجادر ونشرها. ولعلَّ من أهم تلك الآثار هو نشر ديوان الثعالبي في بغداد سنة 1990. إذ وضع هذا التحقيق لبنة مهمة في الأدب العربي في العصر العباسي، كذلك أضاف جهداً عراقياً مهماً وأصيلا لجهود العراقيين في التحقيق والتوثيق والتخريج عامة وفي آثار الثعالبي خاصة. ولا أنسى أن انوه بجهد الدكتور الجادر في الاستدراك والتصحيح لهذا الشعر عن الجهد الذي نشره الدكتور محمد فتاح الحلو وفضل السبق عليه في الجهد وزيادة النصوص الشعرية المحققة والفهارس. .. وما إلى ذلك.

بدء الدكتور الجادر بدراسة موجزة عن حياة الثعالبي وعن شعره، ومن ثمَّ أهم الخطوات عمله في هذا المجموع. وجاء إلى النصوص الشعرية فأثبت أرقام كل نص شعري، ورقَّم الأبيات، ووازنها بين الروايات المختلفة لها، ومن ثمَّ اثبت البحر الشعري، وغرض كل نص شعري، وعرَّف في الهوامش التي جاءت بعد التخريج بالأماكن والأحداث والشخصيات التي تحتاج إلى تعريف وشرح على الغاية من الإتقان في التخريج والتعريف والاستنطاق للمظان المهمة التي استلزمها كل تعريف وشرح.

ومثل هذا الجهد في المتابعة والتخريج وصنع الفهارس اللازمة للتحقيق، والدراسة الممتعة للثعالبي وللأثر الذي يحققه، عمله الدكتور الجادر مع آثار الثعالبي التي نُشرت بتحقيقه. إذ نشر كتاب الثعالبي (أجناس التجنيس) بعد نشرة الدكتور إبراهيم السامرائي الناقصة والمتواضعة، ونشر أيضاً كتاب الثعالبي (اللطف واللطائف) في الكويت وبغداد.

وأما عن الأستاذ هلال ناجي - رحمه الله - فيعدُّ كتاب: (الأنيس في غرر التجنيس) من أهم آثار الثعالبي التي نُشرت بتحقيقه. وتعود هذه الأهمية إلى أنه يصدر للعالم لأول مرة، وكذلك إثبات هذا الأثر المهم للثعالبي بعد أن كان يُظن أنه لشميم الحلي ويعرف به.

ونشر الأستاذ هلال والدكتور زهير غازي زاهد كتاب الثعالبي: (التوفيق للتلفيق). وعلى الرغم من اشتراك الدكتور زاهد مع الأستاذ هلال في تحقيق هذا الكتاب، إلاَّ أن جهد الأستاذ هلال واضح جداً في قراءة المخطوطة، وكتابة المقدمة للتحقيق والتعريف بآثار الثعالبي المطبوعة والمخطوطة والمفقودة، وكل هذا الجهد نهض به الأستاذ هلال، بأسلوبه البليغ، وقلمه الرائع في العرض والموازنة والرد على الآخرين، والتعريف بحياة الثعالبي، والمخطوطة وقيمتها العلمية، والأدبية، والفكرية.

ولا يخفى على الجميع ما في هذه الكتب من صعوبة ومشقة على الرغم من صغرها، إذ أن الثعالبي يورد الكثير من الشعر في مصنفاته فضلاً عن بعض الكلمات التي تحتاج إلى شرح وتأويل في هذه النصوص الشعرية، وكذلك الأسماء للشخصيات والكتب والمصطلحات البلاغية التي تأتي مع هذه المصنَّفات. وذلك ما وفِّق إلى شرحه وتخريجه وبيانه الأستاذ هلال في تحقيق الكتاب الأول، ومع شريكه في تحقيق الكتاب الثاني، فرحمه الله عالماً ومحققاً وأديباً وإنساناً.

ومن الأساتذة العراقيين الآخرين الذين اهتموا بآثار الثعالبي تحقيقاً ونشراً الدكتور قحطان رشيد صالح الذي نشر كتابين للثعالبي الأول منهما: كتاب: (لباب الآداب) بجزأين. والآخر: كتاب: (غرر البلاغة في النظم والنثر). وعلى الرغم من جهود الدكتور قحطان في قراءة مخطوطة هذه الكتب ونسخها الكثيرة والمقابلة بين هذه النسخ، وتخريج الشواهد، وإصدار هذه الكتب باسمه وبتحقيقه إلاَّ أن هذه التحقيقات لاقت كثيراً من النقد في بعض الملاحظ المنهجية والعلمية التي وقع فيها الدكتور قحطان، وكان المفروض ألاَّ يقع فيها، وهو الأستاذ الكبير، أو على الأقل يتجاوزها في طبعات جديدة لهذه الكتب، إلاَّ أن ذلك لم يحدث إلى يومنا هذا على الرغم من التطور الهائل الذي انتاب علم التحقيق، وأركانه، وخطواته. وظهور نقد التحقيق إلى جانب هذا العلم وهو في غايته خدمة للمحقق وتحقيقه الأول، إلاَّ أن الدكتور قحطان لم ينتبه لذلك، ولا ادري لماذا؟!.

ومن تحقيقات الآخرين الأخرى لآثار الثعالبي وكتبه. تحقيق الأستاذ شاكر ألعاشور لكتاب الثعالبي: (تحسين القبيح وتقبيح الحسن) صدر هذا الكتاب عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في الجمهورية العراقية، سلسلة إحياء التراث الإسلامي (38) لسنة 1981.

والأستاذ ألعاشور محقق ثبت له فضل على علم التحقيق يشهد بذلك أكثر المحققين العراقيين، ويعترفون له بالفضل، كالدكتور صباح نوري المرزوك، والدكتور عباس هاني الجراخ، والدكتور محمد حسين الاعرجي. .. وغيرهم، وكان آخر تحقيقاته ديوان أبي الفتح ألبستي في دمشق وهو الطبعة المحققة تحقيقاً علمياً ومنهجياً والتي أضافت على الطبعات الأخرى أكثر من ألف بيت شعري صحيحة النسبة للبستي موثقة توثيقاً علمياً على أصل خطي نادر.

والفاضل ألعاشور يحاول نشر مخطوطة الثعالبي: (أحاسن المحاسن)، وهو جهد عراقي آخر، أصيل وقيم، يُضاف لجهد ألعاشور في التحقيق والتوثيق والنشر، ويُضاف لسلسلة جهود العراقيين في نشر آثار الثعالبي، وتحقيقها.

وقع كتاب (تحسين القبيح وتقبيح الحسن) في مائة وستين صحيفة فيها الجهد القيم والمقابلة بين النسخ الخطية المختلفة، والموازنة مع كتب الثعالبي الأخرى كاليواقيت، واللطاف التي ضمَّ كتاب تحسين القبيح فصولاً كثيرة منهما. والفهارس المتنوعة، والمظان المحققة تحقيقاً علمياً، والهوامش الكثيرة التي تدل على جهد المحقق، وعنايته الفائقة بإخراج المخطوط على أكمل وجه وأتمه، فتحية للمحقق ألعاشور، ومبارك عمله هذا، وأعماله القادمة، وإلى مزيد.

ومن المحققين الآخرين الذين اعتنوا بآثار الثعالبي وحققها، وسأكتفي هنا بالتصنيف لهذه الآثار المحققة. المحقق الدكتور محمد جاسم ألحديثي الذي نشر تحقيقه لكتاب الثعالبي: (اليواقيت في بعض المواقيت في مدح الشيء وذمه)، وقد صدر هذا العَلق النفيس عن دار الشؤون الثقافية العامة في وزارة الثقافة والإعلام بالعراق، سنة 1990 في أكثر من أربعمائة وأربعين صفحة من القطع الكبير أبان عن جهد عراقي أصيل في التحقيق والتخريج والتوثيق والفهرسة.

ومن المحققين الآخرين الذين نشروا كتباً محققة من كتب الثعالبي الدكتورة ابتسام مرهون الصفار، إذ نشرت أولا مع الأستاذ حبيب علي الراوي كتاب الثعالبي: (تحفة الوزراء)، وقد نُشر هذا الكتاب بطبعته الأولى بمطبعة العاني ببغداد 1977. ونُشر بطبعته الثانية في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالعراق وعن مطبعة الخنساء ببغداد سنة 2002.

وكذلك أصدرت الدكتورة ابتسام الصفار كتاب الثعالبي:(الاقتباس من القرآن الكريم) في إربد - الأردن سنة 2008. وقع هذا الكتاب من ستمائة وسبعين صفحة من القطع الكبير، وجاءت المقدمة بدراسة بسيطة وموجزة - غير مخلّة - عن حياة المؤلف، ولها الحق كلُّ الحق في ذلك لكثرة ما كُتب فيه، ومن ثمَّ عرَّفت بآثار الثعالبي المطبوعة والمخطوطة، وفيها إضافات كثيرة ومتنوعة ومصنفات أُخرى لآثار الثعالبي مما لم يذكره الساخرون أو نسوه، أو نسبوه خطأً لغير الثعالبي.

ومن المحققين الآخرين الذين أدلوا بدلوهم بين الدلاء في تحقيق آثار الثعالبي وتخريجها الدكتور عدنان كريم رجب ألمفرجي - أستاذ الأدب العباسي في كلية الآداب في الجامعة المستنصرية - وهو أستاذي الذي درسني وأحاطني برعايته مدة طويلة من الزمن، ولما يزل إلى يومنا هذا، وإلى تاريخ كتابة هذه السطور يسأل عني، ويمدُّ لي يد العون والنصح فله مني خالص تقديري، واحترامي، وشكري. إنه عالم عراقي أصيل ذو علم أصيل، وخلق رفيع، وودٍّ عال.

حقق الدكتور ألمفرجي كتاب الثعالبي: (لطائف الظرفاء من طبقات الفضلاء)، ونشره عن الدار العربية للموسوعات العربية في بيروت، سنة 1999 في أكثر من مائة وستين صفحة. حوى الكتاب دراسة عن الثعالبي وآثاره، ومن ثمَّ حقق النص المخطوط، والحق بفهارس طيبة وموضوعية عن أهم المفردات التي وردت في النص المحقق والتي

تستحق الفهرسة لها كالآيات القرآنية الكريمة، والأعلام، والأبيات الشعرية... وإلى غير ذلك. والكتاب المحقق فيه ملاحظ كثيرة ومهمة شملت المقدمة التي وضعها الدكتور ألمفرجي، وكذلك الأخطاء المنهجية والعلمية التي وقعت في النص المحقق، وفي فهارسه. وقد شمل هذه الملاحظ وغيرها بحث الدكتور الجادر الذي نشره في مجلة المورد، والذي شمل ملاحظ مهمة وخطيرة على محقق كتاب لطائف الظرفاء وناشره.

وقد أعلمت أستاذي الدكتور ألمفرجي عن ملاحظ الدكتور الجادر يومها فسارع بأخذ المجلة مني وصورها، واثبت الملاحظ على متن الكتاب المحقق، ووعد بالالتزام بها الالتزام العلمي في طبعات الكتاب القادمة على عادة ما يفعله العلماء الفضلاء والظرفاء.

والتقيت سوياً معه - الدكتور المفرج - مع الدكتور الجادر - يرحمه الله تعالى - ويومها - يوم اللقاء - ناقش الشاعر والناقد خالد علي مصطفى في أطروحته عن شعر لبيد ابن أبي ربيعة العامري، سلَّم الدكتور ألمفرجي على الدكتور الجادر، وشكره على ملاحظه، وأبدى ارتياحه العالي وثقته الكبيرة بما قاله الدكتور الجادر عن تحقيق كتاب لطائف الظرفاء، ووعد بالأخذ بها ومنها.

في النهاية ؛ ارجوا من الجميع أن يحصلوا على كتب الثعالبي، ويحتفظوا بها في بيوتهم، وخزائن كتبهم في المكتبات العامة، ومكتبات الجوامع. إنها كتب تعلم العقل، وتربي الذوق، وتنشط العاطفة، وتعلم الجاهل، وتقوم العالم، وتبدي النصح، والشرح، والشعر المهذَّب، والحديث المقوم، والنصح المطلوب، والموعظة الحسنة.

إني إذ أنتهي من الحديث عن الجهد العراقي المبذول في كتب الثعالبي ومصنفاته لأتوجه بالتقدير والاحترام لهذا الجهد الأصيل، والثمين الذي بذله محققون اصلاء، وباحثون أوفياء للعلم، اكفياء لصنعة التحقيق وعمله، والاهتمام به علماً ومنهجاً.

واعتذر عن بقية الآثار التي لم ترد في هذا المقال، فإني أعدُ الجميع أنها ستذكر في البحث الذي أشرت إليه آنفاً، فهي تستحق الذكر والإطراء والثناء بما فيها من علم، وجهد، وأبشركم أن هذا الوعد لن يطول ما دمت حياً، وما دام في العمر بقية، والله من وراء القصد، وإلى اللقاء.

النواعيرُ، التجربةُ الشعوريةُ للمكان عند شعراء الحديثة.

لمظاهر الطبيعة تأثير كبير على الشعراء. فالشاعر صدى شعوري لما يحيط به، سواءٌ أكان ذلك في بيئته الخاصة أم العامة، فقد نظم بعض الشعراء في مستلزمات عيشه فضلا عن محاكاة بيئته. ونحن في مقالنا هذا أمام ظاهرة شعرية تمثلت في محاكاة شعراء قضاء الحديثة (قضاء من أقضية محافظة الانبار تبعد 160كم عن بغداد). للأثر النفسي والطبيعي الذي يحسونه تجاه النواعير.

والناعور، واحد النواعير، وهو الدولاب، سمّي كذلك لنعيره.فالنواعير هي الدواليب، وهي لازمة من لوازم العمل الزراعي، وظاهرة من مظاهر الحضارة التي شاعت في منطقة الحديثة. ويصنع الناعور من الخشب، ويوضع في البساتين من جهة النهر، ويكون - في أكثر الأحيان- على شكل دائري تمتد منه أذرع طويلة تصل إلى الماء الجاري، وفي كل ذراع (دلو) يأخذ الماء من النهر ويصبه في ساقية طويلة تتفرع في الأراضي المزروعة، وهكذا فهو في حركة مستمرة، وأصواته تعلو أصوات الماء المنساب، ومنظره يروق للعيون وهو يطاول السماء ويخترق صمتها.

لقد أُعجب شعراء الحديثة بمنظر الناعور وحركته، وما يصدر من أصوات خلال هذه الحركة، فأثار مخيلتهم، وحرك مشاعرهم وحواسهم، فكتبوا فيه قصائد ضمّنوها إيحاءات شعرية جميلة، ومن هؤلاء الشعراء الشاعر بهجة الحديثي الذي نظم قصيدة حاكى فيها صورت الناعور وحركته، وقد جعل الناعور إنسانا يقصّ علينا حكايات السنين، فيقول:

يئنُّ من الجري الطويل وينعرُ يرددُ آهاً من حشاهُ ويعصرُ

يقـصُّ حكايـات السـنين تعلّـلاً — يـواسي بنـي الإنسـان فيهـا ويسـمرُ

يحاذرُ من غدرِ الزمـانِ ومكـرهِ — فـيصرخُ في وجـهِ الزمـانِ ويـجسرُ

ومن ثمَّ يعرّج الشاعر على أهمية هذه الآلة للزرع والناس، ويعتـذر منهـا إنْ جفّـت المياهُ فيتوقف الناعور، فيقول:

فتهتــزُّ للــماءِ النمــيرِ منابــتٌ — وتــورقُ بعـدَ الجـدبِ ريّـاً وتزهـرُ

ويحيا بنو الإنسان من فيضِ مائهِ — إذا لم يجُـدْ بالمـاءِ غيـثٌ ويقطـرُ

فعذراً أخا الإنسان إنْ جفَّ ماؤنا — فـان صروفَ الـدهرِ تقسـو وتغـدرُ

أمّا الشاعر كمال الحـديثي فيجعـل النـاعور جسـداً لـه روح، يـتكلم وينطـق ويحـسُّ، فيشكو إليه، والناعور يشكر إليه- أيضا- ، وهذا من صميم المعايشة للتجربـة الشـعورية مـع النواعير. فأسمع غالى شاعرنا إذْ يقول:

أيّهـا النـائحُ الطويـلُ السـهاد — ألبســتُكَ الأيــامُ ثــوبَ حــدادِ

فقـرأتَ النفـوسَ شـعراً حزينـاً — يتهــادى عــلى لســانِ العبــادِ

ما حسبناكَ نائحاً تسـفحُ الدمــ — ـعَ لتطفــي لفــحَ اللظــى والنــادي

أيّهــا النــائحُ الحــزينُ أعنّــي — واكشـفْ السرَّ عــن عزيــزِ رُقـادي

انك لتحسُّ من خلال هذه الأبيات أنَّ الشاعر يتحدثُ إلى نفسهِ. أو إلى إنسان، فـيقصُّ علينا آهاته وأوجاعه.فتركنا ندور في فلك تجربته الشـعورية، فكأنمـا عشـنا معـه، وعـلى هـذه المنوال من علو التجربة والابتكار في البناء الشكلي (الهيكلي)للنص الشعري يقول فخـري عبـد الحميد البياتي الحديثي:

يا آلة يزهو بهـا الـوادي الكبـيرُ — دوري كــما الأيــام والــدنيا تــدورُ

دوري لتزدهر المغاني والحقـول　　　تحيـا مرابعنـا وتنـتعشُ الزهـورُ

وتعيدُ بهجتها الروابي والسـهول　　　وتفـيضُ سـاقيةٌ وينطلـقُ الخريـرُ

أمّا الشاعر رافع سليم آل جعفر الحديثي فقد بكى من لوعة هـذه التجربـة الشـعرية فأطلق آهاته لعلّ الآهات تجدي نفعاً فتخففُّ من أحزانه، إذْ يقول:

أبكـاني الليـل يـامحيي ليالنـا　　　ويامعينـاً بـرغمِ الجـدبِ يسـقينا

وبتُّ رهن الأسى والعين ساهرةٌ　　　اسـتتبع الآه عـلَّ الآهُ يجـدينا

أين النواعيرُ تشدو كـلَّ أمسـيةٍ　　　لمـن بنـوا، ولمـن للمجـدِ يبنونـا

فلا يخفى عليك أنَّ الشاعر أختار تجربة الشاعر الأندلسي الكبـير أبـن زيـدون وأختـار نونيته الخالدة ليعارضها، والشاعر في هذه المعارضة أثبت شـيئين، أولهـما ؛أنَّ تجربـة الشـاعر العربي في شكواه منذ القدم غير أنّها تغيرت بحسب العصر والزمن والحدث.وثانيهما؛أنَّ شـاعر الحديثة شاعر يعرف كيف يستعمل التراث العربي الأدبي وينهل منه طوعاً لتجربته الشعورية.

وعن الشاعر حسام سليم الحديثي، فقد جمع بين جمال المكان الناعور وجمال الـروح المرأة. في مزاوجة حقيقية نابعة من صميم التجربة الشعورية لهذه الدالة المكانية الناعور، في قولهِ:

ياروعةَ الأمسِ إذْ ضاقت شقائقهُ　　　عـبرَ السـنين وإذْ راقـت دوافقـهُ

حيـثُ الفـراتُ نـواعير تسـاجلهُ　　　لحـن الخلـودِ وأنغـامٌ تسـابقهُ

من همسةِ الريحِ للناعور صادقةً　　　سعف النخيل أنحنى شـوقاً يعانقـهُ

سـمراء يـاحلماً غنيـت بهجتـه　　　طافـت عـلى أمـلٍ فينـا تراشـقهُ

ما عاد غير الصدى الباكي يرجعـه		أنـــين نـــاعورةٍ ثكـــلى تلاحقـــهُ

وقد كانت النواعير ذات دلالات تعبيريـة بليغـة عنـدما عـبر بهـا الشـعراء عـمّا يلاقيـه العراق من ظلمٍ أسىً. فالشاعر عبد الإله محسن جعل النواعير تبكي عـلى العـراق، ومـا يحـلُّ على أهله من كوارث. يقول مخاطباً الناعور:

بكاؤك في الفراقِ سـمعت عنـه		فقــد عاينــتُ مــن مــرِّ الفــراقِ

ولكنّــي عجبــتُ لــدمعِ عــينٍ		وحرقـــةِ أضـــلع يـــوم التلاقـــي

لقــد أبكــاك غلفــك في تنــاءٍ		فمـــن يبكيـــك في حـــرِّ العنـــاقِ

أظنُّلــكَ يــاكثيرَ النــوحِ تــبكي		بــدمعكِ مــا يمــرُّ عــلى العــراقِ

وأمّا الشاعر نجيب سليم فها هو ذا يذمُّ الحضـارة إنْ خرّبـت تـراث البلـد أو حاولـت طمس هويته الفكرية والتراثية الأصيلة، وهـذا مـا يمثلـه النـاعور بالنسـبة لـه ولأهـل بلدتـه. يقولُ:

يـــادارُ أنْ بخلــــت عـــلى		عينـــــي هادئـــــة الرقـــــادِ

فـــلا مطرنّـــك مـــن دمـــو		عـــي مـــا ينـــوب عـــن الســـهادِ

جفّـــتْ شـــواطيك الخصبـــ		بـــةِ والنـــــواعير الحـــــوادي

أحضـــــارةٌ تنـــــدُّ الـــــترا		ثَ وتســـــــتبي ارث الـــــــبلادِ

مـــلّ الظـــلامُ ظلامَهـــا		وأنـــــينَ فاقـــــدةِ الرشـــــادِ

فعليـــك منّـــي ياحديـــ		ثـــة ألـــف قافيـــة شـــوادي

وعليـــك منّـــي يـــانوا		عـــيَر الفـــراتِ إلى معـــادِ

لقد كانت محاكاة حركة النواعير وصوتها وجمال صـورتها جـزءاً لايتجـزأ عـن التجربـة الشعرية لشعراء الحديثة، فكانت هذه التجربة صادقة بكلّ معطياتها، وهي شاهدة على أثـر البيئة الطبيعية على الشعراء.

أستاذي زكي ذاكر العاني...حياتُه آثارُه.

ولد أستاذي الدكتور زكي ذاكر الفجر العاني في مدينة عنه غرب العراق والانبار عام 1947م.

وأكمل دراسته الأعدادية في مدينة الرمادي لينتقل إلى العاصمة بغداد فأتمَّ فيها الدراسة في كلية التربية(أبن رشد)، في قسم اللغة العربية وآدابها لمرحلة البكالوريوس، ثمَّ عاد إليها ليكمل الماجستير عن رسالته الموسومة بـ: (المفضل الضبي - حياته وآثاره)، بإشراف:أ.د.هاشم طه شلاش.

وفي عام 1992م، تخرّج من كلية الآداب للدكتوراه، وكانت أطروحته يوم ذاك عن المرزوقي- شارح الحماسة- وجهوده في اللغة والرواية والنقد، وتحت أشراف:أ.د.حاتم صالح الضامن.

كان يلقب كما ذكر لي - رحمه الله- بالعالم الصغير. مارس التدريس مدة طويلة للدراسات الأولية والعليا في كلية الآداب بالجامعة المستنصرية، وأشرف على الكثير من الرسائل والأطاريح الجامعية في الأدب الجاهلي الذي كان يعرف به، ويعشقه ويكتب فيه.

بقي إلى أنْ أُغتيل - عليه الرحمة- مثالا للأستاذ الجامعي المثابر الطيب المخلص لعمله وقلمه، شهد له بذلك الجميع من الأوساط العلمية والثقافية والجامعية.

ومن أهم آثاره نشره لشعر الشاعر العباسي علي بن جبلة العكوّك، في دار الساعة ببغداد، عام 1970م، في 137صحيفة. أخبرني أنه أنجز هذا العمل وهو في المرحلة الثانية من دراسته في الكلية المذكورة أنفاً.

وكذلك جمع شعر ألحارثي، الشاعر العباسي، ونشره عن وزارة الإعلام العراقية في عام 1980م. وكان مدار اهتمام الباحثين والمحققين إذ كان محور مقالاتهم، وأبحاثهم فيما بعد من النقد والتعليق والاستدراك.

وفي السنة نفسها أصدر شعر الشاعر ربيعة الرقي في دمشق في 119صحيفة، ومن ثمَّ صدرت الطبعة الثانية من هذا العمل في بيروت، عام 1984.

للدكتور العاني منهجه الخاص في ترتيب الشعر المجموع للشاعر الذي يجمع شعره، فدائماً ما يكون هذا الترتيب بحسب القوافي، ويورد الاختلاف في رواية النص الشعري ووفي روايته الأبيات الشعرية، ويخرّج الشعر بحسب ترتيب المظان التاريخي من آخر مصدر ذكر الشاعر وشعره والى أحدثها وآخرها......

وكان يهتمُّ بنقد التحقيق.وكتابة التعليق العلمي للكتب المحققة التي تصدر هنا وهناك وهي تأتي بالجديد المفيد من مصادر الأدب، ومن شعرائه، ومن طبقاته ونقده..ألخ.ومن كتاباته في هذا الشأن نقده لتحقيق الدكتور خلف رشيد نعمان، لديوان أبي تمَّام بشرح ألصولي.

وما كتبه من تعليق وإضافة ونقد على مجموع شعر بكر بن النطاح أفاد منها الباحثان كثيرا حين قررا أعادة الجمع وتصديره مرة ثانية، وثالثة...

وكتب ملاحظ توثيقية تحقيقية مهمة لتحقيق الدكتور جعفر الكتاني لتحقيق كتاب الحاتمي حلية المحاضرة، أبان فيها عن متابعة جيدة، واهتمام علمي يستحق الثناء والإعجاب.

ومن بعد وفاة الدكتور العاني ما رأيت أحدا يذكره، أو يشيد بفضله، ونسيت أطروحته في المجمع العلمي العراقي بلا متابعة أو ذكر حتّى من أهله أو تلاميذه أو محبيه. وكم كتبت في المرزوقي الدراسات ما قرأت هذا الجهد من بين تلك المصادر والمراجع التي

رجع إليها من كتب عن هذه الشخصية وهذا الناقد الكبير، ومن هنا أتمنى أن يكون لعالمنا حقَّه وأثره فينا حيًّا وميْتاً وأنْ لاننساه، ماحيينا فذلكم من أبسط الوفاء وأجمله، ومن الله التوفيق.

من علماء اللغة العربية الراحلين

في القرن الواحد والعشرين.

شهد بدء القرن الحالي رحيل كوكبة من علماء اللغة العربية - رحمهم الله تعالى-. وكان فقدهم خسارة كبيرة وعظيمة للباحثين والدارسين، ولمحبيٍّ اللغة وعلومها وآدابها، فقد خدموا لغة القران الكريم وأثروا المكتبة العربية بالجديد الأصيل من التأليف والتحقيق والشعر...

وأحبُّ أن أتكلَّم في هذا المقال عن كل عالمٍ رحل عنَّا إلى عالم الخلود، مستعرضاً أهمَّ آثاره ومؤلفاته، وعليها- ألآثار والمؤلفات- ركَّزتُ حديثي إذْ هي من ألأهمية والقيمة التي يجبُ أنْ يعرفها الكثيرون من أهل الأختصاص وغيره.

فمن العلماء الراحلين الأستاذ الدكتور عناد غزوان، وهو عالم جليل وناقد كبير.أحبَّ اللغة العربية وكتب عنها وترجم لها ولمحبيها الشيء الكبير، والعلم الكثير، ولعلَّ من أهمَّ تلك الكتب والمؤلفات أطروحته القيمة عن خصائص القصيدة العربية في العصرين الإسلامي والأموي، مات ولم تترجم إلى يومنا هذا.

ومن باقي آثاره:

آفاق في النقد والأدب، مختارات من أدب الجاحظ، المرثاة الغزلية، أصداء دراسات نقدية وأدبية.

فضلاً عن الكتب المترجمة، ومنها:

الصورة الشعرية، خمس مقالات في النقد الأدبي، ..وعشرات البحوث والمقالات المنشورة في الصحف والمجلات العراقية والعربية والعالمية.

ومن العلماء الراحلين أيضاً، الأستاذ الدكتور يونس السامرائي، وهو أستاذ الأساتيذ، تخرّج من كلية الآداب بالقاهرة للدكتوراه.درَّس أشرف وناقش على العشرات من الطلبة والرسائل والاطاريح العلمية الجامعية في جامعة بغداد..وغيرها من جامعات العراق، ولاسيما في التحقيق ونقد التحقيق.هذا العلم الذي استوى علماً ذا أصول منهجية بفضل العلماء العراقيين وما كتبوا فيه وعنه.

من آثار المرحوم السامرائي:

في التحقيق:ديوان خالد الكاتب، ديوان أبن المعتز العباسي، آل وهب من الأسر الأدبية المنتجة في العصر العباسي، شعراء عباسيون، رسائل حُميد بن سعيد وأشعاره...

عشق السامرائي مدينته سُرَّ من رأى وكتب في هذا العشق بعضاً من مؤلفاته برَّز فيها الجانب الأدبي للمدينة، بعد أنْ برَّز جوانبها التاريخية والسياسية والحضرية، ومن تلك المؤلفات:

البحتري في سامراء، سامراء في شعر القرن الثالث الهجري. وله كتابٌ قيّمٌ مع بعض وهو (مع بعض الكتب المحققة)، نقدَ فيه الكتب التي حُققت وصدرتْ عن علماء أجلاء. وللدكتور السامرائي عشرات البحوث والمقالات والدراسات الرصينة التي تهتمُّ بالأدب العباسي وجمع نصوصه الشعرية ونقدها وتحليلها.

ومن العلماء الراحلين، الأستاذ الشيخ محمد حسن آل ياسين، المحقق العربي والعراقي المعروف. وهو والد الدكتور محمد حسين آل ياسين العالم واللغوي والشاعر في كلية الآداب في جامعة بغداد بالعراق.

عُرف الشيخ آل ياسين بأنَّه صاحب الصاحب، وهو الصاحب بن عبَّاد، إذْ حقق له كثيراً من مخطوطاته، ومنها:(ديوانه، العباب الزاخر- بحروفٍ مختلفةٍ- ، والأمثال السائرة من شعر المتنبي)، ومن تحقيقاته الأخرى:

ديوان أبي الأسود الدؤلي، وشرح مشكل أبيات المتنبي لابن سيدة، والكثير من الكتاب اللغوية والأدبية والفقهية.

ومن العلماء الراحلين أيضاً الأستاذ الدكتور محمود عبد الله الجادر، وقد خَصصتُ له أكثر من مقال واحد في كتابنا هذا ولن أتكلَّم عنه هنا دفعاً للتكرار والإطالة.

ومن أجل وأكرم العلماء الراحلين عنّا الأستاذ الفاضل والدكتور النجيب رشيد عبد الرحمن العبيدي- يرحمه الله تعالى- ، العالم الرباني والمربي الجليل، والمحقق، واللغوي، والشاعر، له فضلٌ عظيمٌ على اللغة العربية وأهلها وتلامذتها.

من أهم آثاره:

الأزهري ودراساته المعجمية، المازني ومذاهبه في الصرف، أبحاثٌ ونصوص في فقه اللغة العربية، دراسات في اللسانيات، معجم الصوتيات، واو الثمانية في العربية، مشكلات في التأليف اللغوي، معجم مصطلحات العروض والقافية، الزمخشري وكتابه الفآئق.

ومن تحقيقاته:المستدرك على تهذيب الأزهري المطبوع، فنون الأفنان لابن الجوزي، ومقدمة في التصريف لابن بابشاذ، أبو طالب المأموني - حياته، لغته، شعره-... رحمه الله، كان أستاذاً، وعالماً جليلاً، ومحققاً قديراً.

رحم الله علماءنا، وأمدَّ في عمر الباقين ليخدموا لغتهم وتراثهم وأدبهم، والحمد لله أولاً وآخراً.

منهجُ الأستاذ هلال ناجي

في تحقيق الدواوين الشعرية..أبو هفان أنموذجاً.

مَنْ منِ الباحثين العراقيين وغير العراقيين لايعرف الأستاذ والمحقق الشيخ هلال ناجي ونتاجه الكبير المتميز في التحقيق، والتأليف، والنقد، ونظم الشعر؟! لقد كانت تلك الجِلسات العلمية والثقافية الطويلة التي جلسناها في بيته العامر في العامرية كفيلةً بأنْ تضعنا أمام عالم كبير ومحقق ثبت يستحق منا كل التوقير والاحترام، والمودة. لقد كان دائم السؤال عنّا وعن أعمالنا المتواضعة، وعلى الرغم من تواضعها، وبساطتها تُجاه ما يفعله الآخرون، إلا إننا نلقى منه كل التحية والتقدير والتشجيع والثناء، رحمة اللـه عليه.

وكان يكثرُ من السؤال عن النتاج الأدبي المنشور حديثا، ويسعى للحصول عليه ليضعه، بين أيدينا، وأقلامنا.

وفي:2008/8/1، وصل إليَّ بريدٌ من الأستاذ هلال وفيه هديته القيمة التي تمدُّ بيننا أسس التواصل العلمي، والبحثي، وكان في تلك الهدية مجموع شعر أبي هفان الشاعر العباسي والإخباري والمصنّف.فقرأت العمل المحقق والشعر المجموع أكثر من مرة واحدة، وسعدت بهذا الجهد القيم. ..وكتبتُ فيه ألآتي:

من سمات منهج الأستاذ هلال في جمع الشعر وتوثيق نصوصه أنْ يقدّم بمقدمة وافية عن حياة

الشاعر الذي يجمع شعره، وهذا ما حصل مع جمعه شعر أبي هفان. فلم يدع شاردةً ولاواردةً، صغيرةً أو كبيرةً إلا ووضع لها عنواناً، وتحدّث عنها حديثاً علمياً وافياً،

ولعلّ العنوانات التي وضعها لدراسة شعر أبي هفان كانت أنموذجاً يحتذى، ومثالاً يضرب وهذه العنوانات:

(أسمه.نسبه.لقبه.كنيته.مولده.أسرته.علاقته بكبار عصره.علاقته بأدباء عصره. شيوخه.مَن روى عنهم.تلاميذه.أو من رووا عنه. وبعض مايُنماز به.وممّا أخذ عليه. آثاره.وفاته).

وفي هذه العنوانات كلّها يتكلم الأستاذ هلال بموضوعية، فيعود إلى المظان قديمها وحديثها ليؤيد رأي هذا، ويعارض رأي ذاك، وينقض رأي ثالثٍ بالأدلة والحقائق العلمية.

ومن سمات منهجه في جمع الشعر، وتوثيق نصوصه أنْ يشير إلى جهود الآخرين في تحقيق آثار الشاعر، منشورها، ومفقودها، ومن سمات منهجه أيضاً.أنْ يذكر أسباب الجمع، والدواعي له وأهميته، وإذ وصل إلى الشعر المجموع أثبتَ البحور الشعرية للوحدات الشعرية التي قالها الشاعر والتي جاءت في الجمع والدراسة. ويتحققُ من صحة الأبيات الشعرية ونسبتها غالى الشاعر الذي يجمع شعره ونتاجه الأدبي.

ومن ثمَّ يرتبُ الوحدات الشعرية المجموعة صحيحة النسبة إلى شاعره، بحسب الترتيب الألفبائي لها مبتدئاً بالقوافي القوية، وهي المحرّكة بالضمة، أو الكسرة، ثم الضعيفة وهي المحرّكة بالفتحة والسكون فالموصولة، فالمطلقة، وهو ما عمله في شعر أبي هفان.

ويثبتُ الأستاذ هلال في الهامش الاختلاف في الروايات بين المظان الأدبية المختلفة التي أوردت شعر الشاعر، ويلجأ إلى الرواية الأصح، ثم الصحيحة، فالأدنى فالأدنى ويرقّم الأبيات الشعرية داخل النص الواحد، ويدون اختلافها، وتباينها.وهذا كله حدث في جمعه شعر أبي هفان.وفي نهاية المطاف يخصص حقلا للشعر متدافع النسبة بين الشاعر الذي يجمع شعره، والشعراء الآخرين في عصره ومصره، بعد أن نوّه في الدراسة التي

وضعها لدراسة حياة الشاعر وشعره أنَّ شعره أختلط بشعر أَقرانه ولداته من أبناء عصره، ومدينته، وأنَّ بعضا من نصوصه الشعرية لما تزل غير تامة النسبة إلى شاعرنا.

ومن مميزات عمله في جمع النصوص الشعرية، أنّه يعيد نشر تلك النصوص بين الفينة والأخرى مطلعا على آخر الإصدارات الجديدة من كتب التراجم وكتب الأدب وطبقات الشعراء ومختاراتهم.

ومن هنا فهو دائم الاستدراك على جهود ألآخرين، بل؛ وحتى على جهوده الشخصية من خلال هذه الإصدارات ومن خلال هذه النشرات التي أتمنى أنْ تكون في عيون الآخرين ونظرهم، لا أنء يتركوا أعمالهم دون تجديد، أو تقويم بعد النشرة الأولى..رحم اللـه الأستاذ هلالا لقد كان نعم الأب الروحي لنا، ونعم العالم والمحقق والشاعر والناقد والمستدرك.

جورُ السنين. .تتمةُ الحديث

عن علماء العربية الراحلين.

كتبتُ فيما مضى عن علماء اللغة العربية (العراقيين)، الـراحلين عنّـا إلى دار الخلـود في بدء هذا القرن، وكانوا - للأسف الشديد- كثيرين ومازالوا في كثرة. ..وكانـت السـطور الماضـية تتكلم عن الأستاذ الدكتور عناد غزوان، وعن الأستاذ الدكتور محمود عبد اللـه الجادر، وعـن الأستاذ الدكتور يونس السامرائي، وعن الأستاذ الدكتور رشيد ألعبيدي، وعن الدكتور زكي ذاكـر العاني، والشيخ محمد حسن آل ياسين...وغيرهم رحمة اللـه عليهم جميعاً.

وفي هذا المقال أواصل الحديث عن بقية العلماء الإجـلاء الـذين رحلـوا عنّـا إلى جـوار الباري- سبحانه وتعالى- بعد تلك الكوكبة الطيبة، فأقول ومن اللـه السداد والإصابة.

مثقلٌ بالهموم، تُرى عليه آثار التعب لسنين طـوالٍ، وقـد كَسرت ظهـرَه حقيبتُـه التـي باتت ثقيلةً على رجلٍ تجاوز الثمانين من عمره.ذلكم هـو الأسـتاذ الـدكتور رزوق فـرج رزوق المولود في البصرة نهاية سنة 1919م.

والـدكتور رزوق أسـتاذ الأسـاتيذ في كليـة الآداب في جامعـة بغـداد، ومعهـد البحـوث العلمية، وأخيراً في كلية التربية بالجامعة المسـتنصرية، درَّس الـعشرات بـل المئـات مـن طلبـة الدراسات العليا، وأشرف على رسائلهم وناقشها، ومشهود له من قبل الجميع بالخلق الرصـين، والعلم الأصيل، فضلا عـن شـعره وتحقيقاتـه المشـهورة، المتداولـة عنـد الجميـع مـن بـاحثين ودارسين للأدب وشعره ونثره.

من أهم آثار المطبوعة، كتابه عن الياس أبو شبكة، الذي نُشر في بغداد 1987م، وفيه دراسة نقدية عن شعر هذا الشاعر الكبير وحياته ومكانته بين الشعراء والأدباء المعاصرين. ومن آثاره أيضاً كتابه(مئة قصيدة من الشعر الانجليزي)، وهو كتاب مترَجم عن الانجليزية، وكتابه(تعيينان دراسيان في المكتبة)، وهو خلاصة تجربته الوظيفية في بدء حياته، وهو لايقلُّ أهمية عن باقي كتبه فضلا عن تحقيقاته التي أشرتُ إليها آنفاً، ولعلَّ من أهمها: حقائق الاستشهاد للطرائفي، وشعر أبي سعد المخزومي، وجمعه لشعر بعض الشعراء الذين فُقدت دواوينهم كأبن أرفع رأس وهو مختارات من شعره ودراسة لحياته، وعمله لشعر أبي العبر الشاعر الأمير، وبحثه الشائق عن أم الهيثم الراوية الفصيحة الشاعرة.

وأهتم الدكتور روزق بصنع الفهارس وعمل الببلوغرافيات وهو عمل، وكما يعلم الجميع، يحتاجُ إلى متابعة ودقة، وسعة اطلاع. ومن أعماله تلك: عنايته بآثار المبرد، وفهارس مكتبة كوبنهاكن الملكية والفهرسة لمخطوطاتها، وعمله الأخير عن المنظومات التعليمية الذي شارك به مع علماء أجلاء، وأدباء كثيرين في كتاب تكريمي للأستاذ هلال ناجي أحصى فيه أكثر من أربع عشر ومئة منظومة تعليمية، آخرها منظومة هلال ناجي نفسه في علم التحقيق المسماة بـ:

(موضحة الطريق إلى صوى مناهج التحقيق).

وأخيراً الدكتور رزوق شاعر أيضاً.فله ديوانان من الشعر الرقيق، والوجداني اللطيف حسّاً وصورةً ولفظاً، هما:وجدٌ، والمسافر، وقد دُرسا برسالة أكاديمية مستقلة في كلية التربية في الجامعة المستنصرية تحت عنوان شعر رزوق فرج رزوق - دراسة موضوعية فنية-.

لها من أثار الباديـة الشيء الكبـير، ويـنماز بالجـد والكـرم الكبـير حتـى داخـل غرفتـه الضيقة التي قد لاتتسع لأكثر من شخصين، وعلمه كبير غزير، مشـهود لـه بالحيويـة والحركـة والجدِّ والتميز، ذلك هو الأستاذ الدكتور محمود جاسم الدرويش، النحـويُّ، اللغـويُّ، المحقـقُ، المولود في ديالى 1946، والمغتال أمام جامعته نهاية صيفٍ حارٍ في بغداد سنة 2006م.

درَّس الدكتور الدرويش أغلب فـروع اللغـة مـن صرف، ونحـو، وفقـه اللغـة، وفي أكـثر الجامعـات العراقيـة، وكـان المشرف، والمنـاقش، والمحـاضر داخـل العـراق وخارجـه، في ليبيـا، واليمن، والسعودية، وهناك أنـتج الكثـير مـن البحـوث والدراسـات والمشـاركات في النـدوات العلمية والمؤتمرات البحثية التي كانت تُقام في تلك الدول وبين أروقة جامعاتها.

من آثاره المطبوعة:أبن خالويه وجهوده في اللغة مع تحقيق كتابه شرح مقصـورة أبـن دريد، وأبو محمد الأموي وجهوده اللغوية، والعلة النحوية وتطورها حتى نهاية القرن السابع الهجري، والـلـهجات البائدة في القرآن الكريم.

ومن كتبه وآثاره المحققة:كتاب أسماء الأسد لابن خالويه، وعلل النحـو للـوراق، وشرح مقصورة أبن دريد وإعرابها للمهلبي، وليس في كلام العـرب لابـن خالويـه.فضـلاً عـن عشرات البحوث العلمية المنشورة في المجلات العلمية الرصينة في العراق، وخارج العراق.ولعلّ آخرهـا نشراً بحثه القيم عن إذن وكيفية رسمها، وأهميتها الإعرابية والوظيفية داخل الجملة العربية.

الصرفي، المعجمي، اللغوي هي من سمات الدكتور هاشم طه شلاش ذلك الرجل الكبـير سناً وعلماً ومنهجاً وخلقاً.صاحب الصوت المجلجـل في العلـم والحـق والخـير والـدين، الرجـل الذي وُلد في الرمادي سنة 1934م، والذي تُوفي في بغداد نهاية 2010م، يرحمه الـلـه تعالى.

وهو - لايحتاج إلى مدحي وثنائي- ، أستاذ الجميع من طلبة اللغـة، ولاسـيما مـن أهـل علم الصرف وخاصته والمتبحرين بأفعاله وأوزانـه وميزانـه.تشـهد بعلمـه الرسـائل والاطـاريح الجامعية التي اشرف عليها وناقشها، وأصحابها اليوم هم من أساتذة الدرس النحـوي والصرفي في العراق والوطن العربي والإسلامي.

للدكتور شلاش أكثر من مؤلَّف واحدٍ لعلَّ من أبرزها أشهرها عـلى الإطـلاق كتابـه عـن الزُبيدي وتاجه التاج، الذي يعدُّ مفخرة العمل البحثـي العـراق بكـل مـا تحمـل الكلمـة مـن مقاييس ودلالات.

ومن آثاره الأخرى:معجم الأفعال الواوية- اليائية، ومعجم الأفعال المتعديـة، والمهـذب في علم التصريف، وأوزان الفعل ومعانيها.

ومن تحقيقاته:كتاب ألموفقي في النحو لابن كيسـان، والمسـائل السـفرية لابـن هشـام الأنصـاري، وجمعـه لشـعر الشـاعر ضـمرة بـن ضـمرة النهشـلي، وشـعر قـيس بـن عاصـم ألمنقري...وغيرها.

دُرس الـدكتور هاشـم برسـالة جامعيـة بيَّنـت مكانتـه العلميـة والبحثيـة في العـراق، وخارجه.

أولئك الذين رحلوا عنَّا من علماء العربية. لقد جارت علينا السـنون بـرحليهم، تركتنـا بعدهم في ضياعٍ وشتاتٍ وبكاءٍ على العلم وأهله المخلصين المبدعين في كلِّ زمانٍ ومكانٍ....

وهكذا انتحرت اللغةُ العربيةُ

في دوائر الدولة الرسمية.

مسكينة هذه اللغة، وما تلاقيه من ضيم وحقد وكره، وهي لا تعرف لماذا ! وما السبب ! عندما مات علامة العراق والوطن العربي الأستاذ الدكتور مصطفى جواد قال: أنا تركماني اعلم العربية لأهلها !. وهو من صنع معجماً لغوياً معاصراً، صحيح انه ضاع بين الورثة، وطالبي الميراث الشرعيين، إلا انه يبقى واضع المعجم اللغوي المعاصر، وهو من كتب عن أخطاء صاحب القاموس (القاموس المحيط: قاموس كبير في اللغة ومعجم لها)، وهو. ... وهو. ......، أفترضون أن يكتب موظف الجنسية اسم المولود الجديد ظاري بدلاً من ضاري، وسبيحة بدلاً من صبيحة، والقسّام الشرعي كتب في أسماء الورثة صاهرة بدلاً من ساهرة. ... وغيرها مع موظفي البلدية، والمدارس، ولعلي استغرب أن يكتب طالب في الصف الرابع من مرحلة البكالوريوس في كلية الآداب في جامعة الانبار (الالفاض بدلاً من الألفاظ).

أرجوكم أقرأوا كتاب الدكتور محمد حسان الطيان (تحت راية العربية)، وارجعوا إلى أمّات الكتب والأصول النحوية، وكتب القراءات، وما إلى ذلك، ولنسأل أنفسنا جميعاً هل نستحق هذه الأمانة؟ وهل نحن جديرون بحملها؟ ومن هذه الصفحة الثقافية ، بودي أن أقول كلمة للجميع مفادها ألاّ عيب في السؤال أبدا، والكل يتعلم ويسال عن العلم، الصحيح، النافع المفيد، وما الضير أن أعود بالسؤال الملح على أهل الفيزياء، وأهل الكيمياء، لكي أفيد منهم ومن علمهم في شيء لا اعرفه، داخل في توجههم، وفي صلب

اختصاصهم، بدلاً من الوقوع في الخطأ، مرة، وثانيـة... وعـاشرة، بـل والإصرار عليـه، والمكـابرة فيه، فلنعد إلى لغتنا، فهي أمانة في أعناقنا، ولنكن من أجدادنا الذين قال فيهم الشاعر:

أولئـــك آبـــائي فجئنـــي بمـــثلهمِ

إذا جمعتنـــا يـــا جريـــرُ المجـــامعُ

مكتباتُنا البيتيةُ..نسيانُ الثقافة أمْ ثقافةُ النسيان؟!

(كلمات)، هو أحد كتب الأستاذ الدكتور علي جواد الطاهر، الأديب والناقد والمصنف المحقق المعروف في العراق والوطن العربي والإسلامي.وأول ما يلفت النظر في هذا الكتاب - الذي هو جمعٌ لمقالات المؤلف المنشورة في المجلات والصحف الثقافية العراقية والعربية والعالمية- ، الكلمة الأولى التي تحدث الطاهر عنها هي كلمته عن الأستاذ الاعتباطي، أو كما قال (الأساتذة الاعتباطيون)؟! وهم الأساتذة الذين لايعرفون شيئاً بعد الدكتوراه، ظانين أنهم حازوا العلم كله، والفكر اجمعه، والثقافة برمتها.

ولا أريد أن يتوجه الكلام ضدَّ احد أو مع احد لطفاً، ولكن المعلم مثقف، والمدرس مثقف، وخطيب الجمعة مثقف، والإداري، والمحاسب...كلاً بحسب تخصصه وعمله.ولا يختلف اثنان أنَّ أولَ سمات المثقف توافر المكتبة البيتية، فهل كانوا حقّاً بمستوى هذه الثقافة التي يتغنون بها؟ أو يتكلمون عنها؟!

الجميع متاهفتٌ على بناء الدور العالية والفخمة حتى ولو بالدَّين الثقيل والكسب عند المشروع الذي صار عند البعض في بلادي مشروعاً ومبرراً في مدينتي والمدن الأخرى!وضاع البناة بالتصاميم الجديدة التي تضم كذا وتحوي كذا وكذا، ولا احد يفكر بالمكتبة لا المعلم ولا المدرس وإلاّ المحاسب، ولا أيٍّ من أيِّ مثقفٍ، ولاحتى الأستاذ الجامعي الذي هو اليوم في نظر الكثيرين في أعلى ما يكون، أفضل ما يكون وابن أنت أيها الطاهر لترى ما وصل إليه البعض منهم والى مدى وصل علمه ول كان تكتب المجلدات لا الكلمات!!!

ولأنموذج الثقافة الاعتباطية داخل بيوتنا، أروي القصة ألآتية:طلب مني أحد ألأخوة كتاب الروح لأبن القيم.فأجبته:أنَّه في مكتبة أخينا أبي فلان.فذهب إليه وسأله

عنه، فأجابه بالرفض القاطع بعدم امتلاكه.فطلب منه الدخول إلى المكتبة بإلحاحٍ مني طبعاً، ودخل إليها فوجده، وصوَّره وأعاده إليه، وأنا والأخ المصوِّر في عجبٍ ودهشةٍ واستغرابٍ...

فمثل هؤلاء هم المثقفون وإلاّ فلا....!!!!!

عبقريةُ الشاعر الأندلسي..دراسةٌ ونماذج.

في المكتبة العربية الأدبية اليوم أكثر من مائة ديوان ومجموع شعري أندلسي. تحتجن هذه الدواوين والمجموعات آلاف الأبيات الشعرية، ومئات القصائد والمقطعات، فضلاً عن الموشحات والأزجال التي شهد لها الجميع بالتميز والابتكار والجدة والأصالة.

ويؤسفني ويؤلمني أنَّ بعضاً من الباحثين والدارسين والشعراء والنقاد مازالوا لايصدقون ببراعة الشاعر الأندلسي وابتكاره وأصالته، ويعدَّون نتاجه تابعاً ذليلاً، وأبناً قاصراً عن إبداع الشاعر الجاهلي، أو الشاعر العباسي، علماً أننا لانشكُّ في إبداع أيٍّ من الشاعرين الجاهلي أو العباسي.

ولكن، ماذا لو نظرنا إلى المكان أو إلى البيئة الأندلسية وكيف كان الشاعر الأندلسي مبدعاً من خلالها. لنأخذ الانموذجات الآتية من شعر الشعراء الأندلسيين ولنرَ أصالتهم وإبداعهم من خلال المكان.

يقول الأمير والشاعر عبد الرحمن الداخل، ونظر إلى نخلةٍ فبادلها شعور الغربة، وشكا لها ألآم الفراق والوحدة.يقولُ:

نشأتِ بأرضٍ أنتِ فيها غريبةٌ ... فمثلكِ في الإقصاءِ والمنتأى مثلي

وأبن سعد الخير البلنسي يصف الناعور والدولاب، بعد أن وقف أمامه ورأى حركته وسمع صوته فيقول في هذا الوصف:

للهِ دولابٌ يسيرُ بسلسلٍ ... في روضةٍ قد أينعتْ أفنانا

قد طارحتُه بهِ الحمائمُ شكوها ... فيجيبُها ويرجعُ الالحانا

كأنَّهُ دنفٌ يدورُ بمعهدٍ ... يبكي ويسألُ فيهِ عمّن كانا

ضاقتْ مجاري دمعهِ عن جفنهِ		فتفحـــــتْ أضـــــلاعهُ أجفانـــــا

أبن الخطيب، الإخبار والاثاري والمصنف والناقد والشاعر، له شكواه الخاصة من المكان. ولكن لنستمع إلى أبياته فذ هذه الشكوى وكيف كانت إبداعاً أدبياً وشعورياً معيشاً.يقولُ:

بعُـــدنا وأنْ جاورتنـــا البيـــوتُ		وجئنـــا بـــوعظٍ ونحـــنُ صـــموتُ

وأنفاسُـــــنا ســـــكنتْ دفعـــــةً		كجهـــرِ الصـــلاةِ تـــلاهُ القنـــوتُ

وكنَّـــا عِظامـــاً فصرنَـــا عِظامـــاً		وكنَّـــا نقـــوتُ وهـــا نحـــنُ قـــوتُ

ولا يقتصر إبداع الشاعر الأندلسي على استنطاق المكان بدلالاته وأنماطه. وإنما تعدَّى ذلك إلى الزمن بأشكاله، والصورة بمكوناتها، والبنى الإيقاعية والصوتية وتشكيلاتها. ..وفي كلِّ شيء.

ومن هنا استحقَّ هذا الشعر الخلود وما زال يخرَّجُ للناسِ على اختلاف مشاربهم وأماكنهم وهو يسعدهم وينال رضاهم، وليذهب المتنطعون والناقمون إلى الجحيم!

ديوانُ أبن جابر الغرناطي. .

بين جودة النظم وجناية التحقيق.

أطلعت بآخرةٍ على ديوان ابن جابر الغرناطي الأندلسي صاحب القصائد الدينية الشهيرة والكثيرة في مدح الرسول(صلى الله عليه وسلم)، وصحابته الأطهار(رضوان الله عليهم)، وآل بيته الكرام(عليهم السلام).وقد صدر هذا الديوان بتحقيق الدكتور الفاضل فوزي سعد ألهيب في دار سعد الدين بدمشق، سنة 2007م، ومن ثم أعقب هذا الديوان باقي شعره الذي عُرف بالكثرة والإطالة.

والمقال سيتناول الديوان الذي أشرتُ إليه في أعلاه والملاحظ التي ستأتي على هذا الديوان هي الملاحظ نفسها على باقي تحقيقات الدكتور ألهيب في شعر ابن جابر أو في غيره....

قال الساير:جانب المحقق لديوان ابن جابر الصواب كله، والمنهج العلمي برمته في المقدمة البائسة التي وضعها لهذا التحقيق. فلا تتصور معي أيها القارئ الكريم إنها مقدمة علمية أو حتى منهجية أو حتى موضوعية أو تاريخية...أنها مقدمة خيالية حديدية من النوع الثقيل تتكلم عن سيرة المحقق، وأهم آثاره العلمية المنجزة والمنشورة ولا اعرف ما الرابط بين التحقيق لديوان أندلسي وآثار الدكتور ألهيب؟!

ولم يعرف بالشاعر إلا بنبذة بسيطة وقصيرة جداً جداً؟ ولم يثبت لوحات المخطوط التي أعتمد عليها في تحقيق ديوان الشاعر، أو حتى وصفها والتعريف بها أو الحديث عنها وعن أهميتها؟

علماً أنه كتب على الغلاف الخارجي ديوان وهذا ما لايصح أبداً!

في النص المحقق - وسأعمل الملاحظ على وفق فقرٍ متسلسلةٍ-:

- لم يشرح المحقق المفردات اللغوية الصعبة والكلمات المستغلقة أو ذات الدلالات الكثيرة والمترابطة داخل الديوان وهي كثيرة تستحق الشرح والتعريف والفهرسة.
- لم يعرف المحقق بالأحداث أو الأماكن أو الشخصيات أو الوقائع التي جاءت في شعر الشاعر، وهي كثيرة كثرة مفرطة بسبب الشعر الديني الذي هوأغلب نصوص الشاعر وجُلَّ شعره.

ومن البداهة، ومن المتوقع أن تكثر في مثل هذا الشعر الأحداث، والوقائع، والأيام، والشخصيات التي هي تبعٌ لها ومن قامت بتلك الأحداث و..و..و..ولكن اياً من هذا ماكان في حسبان الدكتور المحقق ولا في كلامه أو في تحقيقاته!

- لم يذكر المحقق تناصات الشاعر ابن جابر مع شعر الشعراء الآخرين الأندلسيين وغيرهم، وفي المقدمة الخيالية التي تحدثتُ عنها، أورد المحقق بعضاً من مؤلفاته النقدية وهذا ما يعني أنّ المحقق يعرف مثل هذه الموضوعات ولكنه وللأسف قصَّر بشيءٍ يسيرٍ كان من الممكن أنْ يكون كبيراً جداً.
- لم يتنبه المحقق الكريم للأخطاء العروضية الفاضحة التي جاءت في التحقيق للديوان كلِّه!
- في الفهرس الوحيد الذي عمله المحقق للديوان الذي يحققه!وهو ثبت المظان قصَّ المحقق بالشيء الكثير والمهم من المظان التي كانت من الممكن أنْ تخدم عمله وتدفع به نحو التميّز أكثر مما كان بكثيرٍ وكثيرٍ جداً....

والى غير هذه الملاحظ المنهجية والعلمية، وسأكتفي فقد أخذ مني التعبُ كلَّ مأخذ ولعلَّ فيما قدَّمت كفاية، والسلام.

الوصولُ إلى النفس..
دراسةٌ في ديوان (أصداء في زوايا النفس)
للشاعر عبد الحميد الهرَّامة.

الشاعر والأستاذ الدكتور المحقق عبد الحميد الهرامة، عالمٌ وأديبٌ فاضلٌ كبيرٌ من ليبيا. أحبَّ الأدب العربي وأختصَّ بالشعر الأندلسي فأصدرَ فيه أكثر من مؤلَّف واحد منها ما أختصَّ بالدرس النقدي والأدبي كـ: الأعمى التطيلي، حياته وأدبه، والقصيدة الأندلسية من خلال القرن الثامن الهجري. ومنا ما أختصَّ بالتحقيق والجمع والتوثيق، كـ: مختارات أبن عزيم الأندلسي، وشعر أبي البركات البفليقي، وشعر إبراهيم بن الحاج النميري...وغير ذلك.

وهو شاعر أيضاً، نظم القريض منذ وقتٍ مبكرٍ من حياته، وشارك بهذا النظم في المنتديات والمهرجانات الأدبية، جمع هذا النتاج الأدبي في ديوانه الأخير(أصداء في زوايا النفس). وقبل الولوج إلى هذا النفس، وهذه الذات المبدعة أودُّ أنقلَ مشاعر الدكتور الهرامة لأهله وإخوانه في العراق- كما حملني بذلك- ، متمنياً أن يجدَ هذا الديوان صدىً طيباً ومحموداً في نَفْس العراقيين ونَفَسهم، كما كانت هذه الأنفاس عند شعراء المغرب وليبيا والسودان.

وقدَّمتُ لهذا المقال بأبيات الشاعر الهرامة نفسِها التي قدَّمَ بها ديوانه، وهي:

في زوايا النفسِ أشياءٌ كثيرةْ ... وحكايا في خفايا الذاكرةْ

بعضُها الأشعارُ أسرارٌ أسيرةْ ... لاتَرومُ البوحَ قبلَ الآخرةْ

لكــنِ الأصــداءُ أفكــارٌ مثــيرةْ وشـــــعورٌ في حنايــــا نــــاضِرةْ

فرضــتْ بوحــاً لومضــاتٍ منــيرةْ مـــن قلـــوبٍ وعقـــولِ شـــاعرةْ

وقسمتُ أنواع النفس الإنسانية الواردة في هذا الديوان إلى الآتي:

1.النفس المتألمة:

وتبرز هذه النفس في قصائد الشاعر التي تحكي الواقع المعيش، ولاسيما ما حدث في العراق الذي يحبُّه الهرامة، وعايش أكثر حياته الوظيفية والإدارية مع علمائه في ليبيا والامارت والمغرب. من أمثال العلماء الأجلاء:الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن، والأستاذ الدكتور حازم سليمان الحلي...وغيرهما.والآن، لنترك العالم والشاعر الهرامة يحدثنا عن مشاعره تُجاه بلده الثاني العراق وما حلَّ فيه، يقولُ:

(تأثرتُ بما يجري في العراق، ككلِّ منتمٍ إلى هذه الأمة مهتمٍّ بشؤونها وشجونها، وما جرى فيه من أحداثٍ لم نشاهده في حياتنا السابقة، وقد زاد من بشاعة تلك الأحداث تصويرها حيَّةً وبثّها مباشرةً غالى عيون الجميع، حتّى بدا أنَّه لم يبقَ لواصفٍ أو شاعرٍ براحٌ في ان يفوق الصورة في بيان الواقع أو تحريك النفوس وحفز الهمم، ومن ثمَّ خرست ألسنُ الشعراء عن الكلام، وأصابتهم دهشةُ المفاجأة، فلاذوا بالصمت واقتصروا على الملاحظة بذهول!).

وإذا اقتحمنا نصَّ الهرامة الشعري وجدنا فيه ترجمة وافية شافية لما قدمنا من مشاعره الإنسانية، لنستمع لقوله:

أصـــلدأ لم يحرّكـــكَ العـــراقُ أمِ الأشـــعارُ مـــا عـــادتْ تطـــاقُ

هذا الاستفهام الإنكاري، يستدعي جملةَ أسئلة أخرى، تنثال فيها المشاعر الإنسانية نحو ما يجري في العراق.فلنتاملْ في هذه النفس الباكية المشفقة:

فكنتَ تقولُ إنْ شاهدتَ لمحاً فكيــفَ وللجحــيمِ بــدا نطــاقُ

ألمْ تهتــزّ مــن قــتلى وجرحــى أمــا يغنيــكَ مــا عــانوا ولاقــوا

أصرتَ مع الزمانِ عديمَ حسٍّ؟! فــلا حـــزنٌ يثــيرك أو فــراقُ

ولادمــعٌ لطفــلٍ أو لــثكلى؟! ولاشـــكوى تهـــزّك أو وثـــاقُ

ومن ثمَّ يشرح - بصيغة الجمعة- ما أصاب العرب والمسلمين بعد هذه الأحداث المؤلمة التي يمرُّ بها هذا البلد، وما يعانيه أهله الذي سمَّى بعضهم في هذه الأبيات السابقة، وهو يشير إلى ذلك الماضي البعيد السعيد في الوحدة والقوة والإيمان، ويومئ من قريب إلى هذا الحاضر المتفرق الذي يسوده النزاع والشقاق والنفاق على حساب الدين والكلمة الواحدة، والموقف الواحد المشرف...يقول:

ونحنُ هنا على مرمىً قريبٍ يفرقنُــا التنــازعُ والشـــقاقُ

نؤجــلُ فعلنــا حتَــى ترانــا أُســارى أو إلى حتــفٍ نُســاقُ

ونحــبسُ قولنــا للحــقِّ حتَّــى رمانــا العجــزُ وانــتشرَ النفــاقُ

فماذا بعد؟ غير الصبر أو الممات المشرف الذي لايتمناه إلاّ الصبور أو المؤمن. وهذه نهاية حتمية لمشاعر الهرامة السابقة، وهي نهاية مصنوعة مكشوفة بادية للقارئ على ما اعتقد.ولنعد إلى تلك الخاتمة ونستمع لما فيها:

فيــا اللــه صــبراً بعــد صــبرٍ نعــيشُ بــه فقــد مــرَّ المــذاقُ

وإلا فـــالمماتُ نـــراهُ أولى بنــا مــن بعــد أنْ ضــاق الخنــاقُ

ومن نهاية النص الشعري الماضي، انطلق إلى النص الشعر الجديد في ديوان الهرامة، وهو - النص الجديد- يحمل نفساً متألمةً تحكي واقع البلد العربي في المغرب العزيز

الأصيل، وتبكي تلك الأمجاد التي كان فيها، وتقصُّ غربته اليوم وتشتته وضياعه وانحسار مجده وتألقه. يقول الشاعر الهرامة من مقدمة قصيدته (إلى المغرب العربي):

(كتبتُ هذه القصيدة وفي ذهني أحداث التاريخ ألمغاربي وامجاده التي خلدتها دوله الكبرى تحت لواء الثقافة الإسلامية الواحدة والموحدة، وما دبره المستعمرون في العصر الحديث من فتن التفرقة بين أبناء الوطن الواحد، وليس آخر الظهير البربري ولا حملات التنصير وما جرى مجراها في دول المغرب العربي الكبير، فقد أرادوا بذلك تشتيت شعوبه وتقسيمها عرقياً برغم كل العناصر المشتركة التي تجمعها لتجعلها قوةً اقتصاديةً وسياسيةً هائلةً في عصر التجمعات الكبرى).

يقول في هذه المشاعر:

يـامغربَ الخـيرِ والأمجـادِ والأدبِ	لأنـتَ أعظـمُ مـما أنـتَ في الكتـبِ
في شاطئيكِ رأيتُ الحسنَ مجتمعاً	وفي رُبى الأطلـسِ المزهـوِّ بالنجـبِ
وفيك عشتُ زمانَ الوصلِ أعذبَهُ	وشـمَّتُ أندلساً في غصنهِ الرطـبِ

ولعلي لا أبالغ - أبداً- إنْ قلتُ انه نفسٌ باكيةٌ على تلك الذكريات، وهاتيك الأيام، كيف كانت، وكيف صار ت، فلعبة الاستعمار كبيرة، ونواياه حقيرة، فافهموها وافهموها وافهموها....:

فـرِّقْ تسُـدْ لعبـة للكيـدِ نعرفهـا	فهـل تُرانـا مزجنـا الجـدَّ باللعـبِ؟

ويمضي الدكتور الهرامة ليضعَ أمامنا حقائق الوحدة بعد الفرقة، وأخوة الصبر بعد الشدة، وحرية الرأي والتنوع في الفكر ما هو إلاّ توحيدٌ لتلك الأخوة، وتشديدٌ لذلك التلاحم.يقولُ:

ومـا افترقنـا عـلى شيءٍ يوحّـدنا	منذ اجتمعنا على التوحيدِ من حقبِ

وفي التنـــــوعِ اثـــــراءٌ لوحـــــدتنا مــن الروافــدِ جــاءَ النهــرُ بالــذهبِ

ملاحـمٌ صـانها التـاريخُ فأزدحمـتْ حتّــى بَنــت مجــدنا في أرفــعِ الرتــبِ

وفي الشــدائدِ كنُّــا أخــوةً صُــبراً تقاســمَ الهــمّ منــا كــلُّ منتســبِ

وعلى هذه الشاكلة من الصبر والتصبر، تمضي معاني الهرامة، وألفظه ويسير بنا شعره الوطني والقومي الأصيل. وعلَّ ما قدمنا من نصوصٍ وتحليلٍ يكفي القارئ اللبيب للتعرف على هذه النفس الإنسانية المتألمة الباكية وفي الديوان مزيد، وفيما قدمت كفاية.

2.النفس الهازلة:

لانعني بالنفس المتألمة، والذات الباكية كلّ هذا التشاؤم. وان عرفناه نفْساًونفسَاً، فمع كلّ تلك الآهات والعبرات، نجد أنَّ المتعة وجدتْ طريقها الضيق إلى نفس الشاعر وقصائده، وفي هذا النص سنكشفُ عن سمات هذا النفس، ولنبدأ- كما تعودنا سابقاً- بالمقدمة التي وضعها الشاعر الهرامة لنصِّه الشعري.يقولُ الهرامة:

(هزَّني منظرُ رجلٍ يبحثُ في جوف الليل عن بقايا الطعام في أحد صناديق القمامة، والى جانبه قِطٌّ يصنع صنيعةً، ولا يبالي بوجوده، فقلتُ على لسان الرجل):

أنــا والقــطُّ في جــوفِ الليــالي يؤانســـني فـــلا تـــرثي لحـــالي

أجوبُ من الشوارعِ كـلَّ صـوبٍ فيصـــحبني كظـــلٍّ مـــن ظـــلالي

ولاتعجــــبْ لألفتنــــا فهــــذا يســـامرني عـــلى نـــبشِ الزِّبـــالِ

فيســــبقني وأســــبقُه ولكــــن كلانــــــا لايعــــــافُ ولايُبـــــالي

ومن ثمَّ يتحول النص إلى سردٍ بين الرجل والقط. وهذا السرد هو الذي يحول النص إلى متعة لاتخلو من ح كمة، ولعلَّ الحوارَ كان أبرزها ما دار في هذا السرد، فلنستمع له بعناية:

سألتُ القطَّ في يومٍ أتأسى	إذا فكَّرتُ في صنوٍ مثالي
ينامُ على فراشٍ من حريرٍ	ويطعمهُ الأكابر كلَّ غالِ
فشامَ إلى من طرفٍ كليلٍ	وكان جوابُهُ فوقَ السؤالِ
وقالَ بأنَّ في الدنيا حظوظاً	يقصّرُ عن مداركها خيالي
وأنسي بالذي أجنيه أنِّي	أرى الأيامَ من حالٍ لحالِ

نعم، فدوام الحال من المحال، وهذا ما أراد الشاعر الوصول إليه من خلال هذا السرد الشعري المتوهم بين الرجل والقط، وعلى كلٍّ إنَّ إعجابنا بنصِّ الهرامة الشعري هذا هو أنَّه أنطلقَ من الواقع بكلِّ ما فيه من بغضٍ وحقدٍ ونزاعٍ طبقي، وإلا ما رأى الأغنياء مأساة هذا الرجل، أمَّا عرفوا أنَّ هناك فقراء يجوبون الليل والنهار بحثاً عن سدِّ الرمق ولايجدون.

الشاعرُ هنا ألتقطَ هذه الصورة الواقعية وأودعها شعره، والنصُّ على مافيه من معانٍ ساميةٍ، وحكمٍ باقيةٍ على الجميع أنْ يعرفها، ويتمثلها في حياته، وعلى ما فيه من سردٍ وحوارٍ بعثا الرغبة في المتلقي لاكتمال قراءته، إلاَّ أنِّي أجدُه قصَّر في استنطاقِ الصور البيانية والحسية للوحات كانت من الممكن أنْ تكونَ داخل هذا النص، وتزيدُ من جماله وطوله بالقدر المناسب، المشوق والمثالي من الوجوه البلاغية والنقدية والدلالية.

فأرى- بتواضع جمٍّ- أنَّ لوحة الليل، ومافيه من حرمانٍ وكآبةٍ وصمتٍ مخيفٍ كانت يمكن أنْ تكون أكثرَ مما جاءت.

ولوحة وصف الحيوان لاتقلُّ عن صاحبتها في الطول والوصف والرسم من قبل الشاعر، وحتى الرجل كان على الشاعر الهرامة أنْ يكونَ أكثرَ دقةً في رسم صورته التي تلاشت أمامَ القارئ إلاّ من تخيّله البائس الفقير الباحث في القمامة عن شيءٍ يعود به لأطفاله، أو ما يسدُ رمقه!

3.النفس المتعبة:

أعتذرَ لي أُستاذي الدكتور الشاعر الهرامة عندما عاتبته معاتبة الابن لأبيه حين جفاني أكثر من سنةٍ واحدةٍ، فكتب إليَّ يشرحُ لي أسبابَ انقطاعه عني واصفاً مشاغله الكثيرة في المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - ايسيسكو- ونظام الدوام الرسمي في هذه المنطقة المؤقرة الذي يستمر حتى الساعة الثالثة من فجر اليوم التالي وقال لي على حد زعمه أنَّه لايتمكن حتى من قراءة البريد المتراكم على صندوقه وعلى مشاغله. ولعلَّ الشاعر الهرامة ولايجدُّ بُداً أنْ ينظم هذه المعاناة شعراً فكانت قصيدته التي وصلتْ إلى مع الرسالة وفي الديوان، وهي قولُهُ:

قـــدْ تعلمـــتُ كـــيراً	في (الايسيسـكو) لا أجـادلْ
وجميـــعُ النـــاس حـــولي	فضـــلياتٌ وأفاضـــلْ
غـــير أنّي قـــد غرقـــتْ	في صـــغيراتِ المســـائلْ
حســـبي اللـــه تعـــالى	ضـــاق ذرعـــي بالرســـائلْ
....	
....	
....	
والملفـــاتُ ركـــامٌ	مثـــل أهـــرام الســـنابلْ

وأنـــــا في كـــــلَّ هـــــذا	بـــــينَ مســـــؤولٍ وســـــائلْ
أتـــــوارى مـــــن ضـــــيوفي	أو أوارى في المشـــــــــــاغلْ
ناســـــخاً أوراقَ شـــــتّى	مـــــن وقـــــوفي أتمايـــــلْ
فـــــإذا حـــــان انصرافي	مـــــن عنـــــاني أتثاقـــــلْ
هـــــل تـــــراني بعـــــد هـــــذا	صـــــائلاً في العلـــــمِ جائـــــلْ؟!

مع كلّ هذا العلم أرى الدكتور الشاعر المحقق الهرامة يعتذر كـلّ هـذا الاعتـذار ومـا هي إلاّ أخلاق العلماء المخلصين المجدين.فكيف بـالمتبجحين عـلى العلـم والمتفيقـيهن بـه بـلا خلق، أو نتاج.

لا والـلـه، لقد كنت يأُستاذي الجليل عالماً صائلاً جـائلاً معروفـاً لـدى الجميـع بـالعلم والخلق والتقوى، وما شاهدتهم هذه إلاّ شهادة الحق والعمل. ..ولا أزيد.

ألوانُ ألأغلفة وعناوينُ الكتب..إلى أين؟

أول ما يجلب انتباه القارئ والمثقف والمطالع في الكتاب هو لونه الذي تصدّر كلَّ شيء من العنوان أو المؤلف ودار النشر. ..وغيرها.

أذكر وأنا في تلك الجولات المارثونية التي كان الجميع يتغنى بها في شارع المتنبي وبين أرصفة الكتب، وعلى طرقات المارة المزدحمة، أذكر ما يشدُّ الانتباه أول وهلة هو لون الكتاب وغلافه، أو الصورة التشكيلية أو الفوتوغرافية التي وضعت على غلافه. فمن الطبيعي أن تكون هذه مجوعات نزار قباني الشعرية إذ أنَّ صورته على غلافها.ومن البداهة التي لاتحتاج إلى فراسة أو إلى إطالة نظر أو تفكير أنْ تكون هذه دواوين احمد مطر إذْ إنَّ صورته الشخصية الشابة زينت هذا الغلاف التقليدي البسيط...وهلم جراً.

والواقع، بل، والمأمول أنْ يكون الغلاف يسرُّ الناظرين ويعجب القوارئ، ويجلب الاهتمام للكتاب ولدار النشر وللمؤلف أو المحقق أو المصنف. ويجب أنْ تكون الكتب ذوات الأجزاء الكبيرة والكثيرة، ذات أغلفة مميزة، وذات ألوان مميزة. ولاضير أنْ تكون هذه الأجزاء بألوان عدة شريطة أنْ يحافظ الناشر على تسلسلها وترتيبها رقما وعنوانا.

والواجب أنْ تكون دار الشؤون الثقافية في بغداد بمستوى هذا الواقع المعيش في دور النشر الأخرى العربية والعالمية. لا أنْ تصدر وكما هو اليوم في هذه الدار المؤقرة، بعضا من الكتب والدواوين الشعرية بألوانٍ باهتة للغلاف ولايتناسق مع ما فيها، وما يريده المؤلف من الكتاب أو الديوان، ويكأنَّ العلم صار تجارة بيد المنسِّق أو المصمم ليصبَّ إبداعه الشخصي على الغلاف ولايبالي بما فيه أو بما يريد المؤلف، فيحصل التناقض، ويكثر النقد، ويفقد الكتاب أهميته لدى الكثيرين من أهل الثقافة والأدب والفكر.

إنها دعـوة لهـذا الـدار ولغيرهـا في عمـوم بلـدنا العزيـز للتنبيـه عـلى هـذه القضـية الجوهرية في عمل المطابع ودور النشر، ولابدَّ من الاستشارة وترك الأهواء والمصالح الشخصية، وإلاّ كانت النتائج وخيمةً أكثر مما هي الآن....

محمود درويش..نبضُ الوطن، وشاعرُ السلام.

هو شاعر الوطن ونبضه وصاحب قضيته. وهو شاعر الحب والسلام والإنسان المبدع الذي حاز عشرات الجوائز والهدايا من المنظمات الإنسانية العربية وغير العربية واتحادات الأدباء والكتاب وغيرها.

تتمثل في شعره أشكال التراث كلها، من التراث الأدبي والأسطوري والتاريخي وغيرها، فضلا عن الرموز الدينية والشعبية، وفي شعره تجسيد لكل أنواع الصور، نستوحي تلك الأنواع البيانية والحسية واللونية من عناوين مجموعاته الشعرية التي أصدرها مثل: عصافير بلا أجنحة - أوراق الزيتون - عاشق من فلسطين - آخر الليل نهار - يوميات جرح فلسطيني. .. وغيرها.

نلمس في شعره اثر المكان المفقود (الوطن) وفي تلك المجموعات الشعرية بكاء على الماضي، وأمل في العودة لكل شيء: الذكريات، الوطن، الحب، والسلام.

أما موسيقاه وألفاظه فهي تنساب نحو القارئ بدفء وسلاسة، وأقدم نصين لذلك، للوطن والسلام، يقول في وطنه:

آهٍ ياجرحي المكابرْ،

وطني ليس حقيبةٌ،

وأنا لست مسافرْ،

إنني العاشق والأرض حبيبةْ.

ويغني للسلام قائلا:

حين تأكل فطورك، فكر بغيركْ،

لا تنس قوت الحمامْ،

حين تدفع فاتورة الماء، فكر بغيرِكْ،

لا تنس من يرضعون الغمامْ،

حين تخوض حروبك، فكر بغيرِكْ،

لا تنس من يطلبون السلامْ.

ومـن هنـا يطيـب لي في ذكـراه أني قلـتُ مـا قلـتُ ولـو كـان الموضـعُ موضـعَ إطالـة لأطلتُ.......

الطبعةُ الأخيرةُ...!

في مناقشة لأطروحة جامعية، استوقفني كلام الدكتور حاتم صالح الضامن، وكان رئيس لجنة تلك المناقشة يومها، أنَّ أحد أصحاب المطابع يمتلك اليوم نصف عمارات بيروت، وانه لصَّ أكثر من ألفيْ عنوان من العناوين لباحثين مختلفين، وان له وحده منها (الدكتور الضامن)، العشرات من هذه العناوين! تأليفاً، وتحقيقياً، وجمعاً.

ولأصحاب المطابع في سبيل الوصول إلى غاياتهم فنون ومذاهب. وما مصطلح الطبعة الأخيرة، إلاَّ واحداً من تللك الغايات ولاحول ولاقوة إلاَّ بالله العظيم.

فانظر كيف وصل إليه الأمر في عالمنا العربي؟ وكيف سطا على العلم من لا يراعي في الحقِّ إلاًّ ولاذمة. فتجافت أعين السلطة، وأُغمضت على عيوبهم أعين الثقاة!

وإلاَّ ما معنى أنْ يظهر ديوان ديك الجن العباسي بعشرات الطبعات؟ وعشرات الأسماء التي لا نعرف منها أحداً إلى يومنا هذا على الرغم من السؤال والسؤال والسؤال؟؟؟؟.

وأما ديوان أمري ألقيس، فوصل إلى أنْ يظهر بتحقيق بائعة الخبز أو اللبن، ويكاد يباع حتى مع ملابس الأطفال والنسوان من كثرة ما طُبع وحُقق؟!

تلك العبارات الوهمية الملفقة من أرقام الطبعات، ومن أسماء المحققين، وُضعت على الاغلافة، والصفحات الأولى للطبعات الجديدة لتدرَّ على الناشر عماراتٍ أُخرى..وحسبنا الله ونعم الوكيل.

سماتُ المكان في الدراما التلفزيونية العربية..
بابُ الحارة أنموذجاً.

مسألة نقل هذا المسلسل الشيق إلى مسألة سياسية في الجزء الرابع فيها نظر كبير، إذ طغت النواحي الاجتماعية على الأجزاء السابقة وهي التي أوجدت كل هذا الاهتمام، وحازت كل تلك الشهرة الجماهيرية. والمكان ـ وهو ما أتكلم عنه هنا ـ بدا معادياً في كل أجزاء المسلسل، من الحارة الفارغة إلا من النساء، ومن الأحداث التي تجري فيها، وهي ـ كما وضّحت ـ أحداث تدعو إلى الكراهية والحقد على الأشخاص الذين يمارسونها، وهو ـ طبعاً ـ ما أراده كاتب السيناريو، وما برّزه المخرج بشكل متقنٍ مبدع.

والمعادة للمكان موصولة بغياب الأمكنة الأليفة فغيابها كاملاً أصل تلك المعادة وزاد من الألم والحيرة، ولعلّ أهم تلك الأمكنة الأليفة: الحمّام، المقهى، دكّان الحكيم، وبائع الخضر والفواكه، والفرن، فضلاً عن بيوتات الحارة والمسجد. ومما زاد الطين بلة ، حصار الحارة المسكينة التي لا يملك أهلها إلا دفاعهم عن أموالهم وعوائهم وحارتهم فخيمة الجيش الغازي على صغرها وتواضعها، أغلقت كل منافذ الأمل، وسدت أبواب الخير نحو هذا الباب الذي غدا أُلعوبة بيد الدخيل المحتل، وبما خلفه من أنفس وأموال وشخوص.

أما عن المكان في الحارات الأخرى: مثل حارة الماوي، وحارة أبو النار ـ وهذا اسمه وليس كنيته -، وحارة ألمسكي، فهو يتحرك من خلال الشخصيات، فالمكان ـ عموماً ـ يأخذ أهميته من الأشخاص الذين يعيشون فيه، وألاحداث التي تجري على

واقعه، ولذا فالمكان في هذه الحارات يتحرك من خلال الشخصيات التي أخذت بعداً وطنياً، وإهتماماً خاصاً من لدن الكاتب والمخرج على السواء، من مثل: المختار، العكيد، الشباب الفلسطيني القادم من المعركة إلى المعركة.

ويتجلى المكان المعادي ـ أخيرا ـ في الغربة والاغتراب الذي نشأ في الشباب والرجال الذين تركوا الحارة رغم أنوفهم ـ ولجأوا إلى المغارات والمزارع البعيدة، فهم يعيشون غربة البعد عن حارتهم وأهليهم، واغتراب ابن البلد الذي وضع يده بيد الأجنبي لمقاتلة أخيه في النسب والوطن والدين. والذين لم يتركوا الحارة عاشوا غربة السجن (المكان المعادي) المقيت الثقيل وما فيه من آلام ومآسي. وستصل الحبكة مداها في الضيق والعسرة في كل شيء معيش، لتنفرج في نهاية المسلسل إلى عرس وطني، سطّره أهل الحارة وشبابها، وأتمه المكان وهو باب الحارة الذي يعد من فضاءات العتبة والوصول وهو هنا ثيمة مفرحة ابتدأ من البئر المظلم لينتهي بالحارات الأخرى، والبلد الآخر ـ الممثل بالشباب الفلسطيني ـ إلى قلوبنا وعقولنا التي ما زالت تفكر كيف ستكون النهاية؟ وأين؟ ولماذا؟ وهذا ـ في رأيي ـ سرّ نجاح المسلسل وشهرته وشوق الناس إليه.

الشاعرُ العربيُّ. ..لغويّا.

على مر العصور اللغوية والأدبية والتاريخية، لم يذكر هذا الفصل الشاسع بين علوم اللغة العربية من أدب، ولغة، وبلاغة، وعروض، وصرف ونقد.

وقد لا يتسع هذا المقال ـ وهو حتماً كذلك ـ لشرحٍ وافٍ شافٍ لماهية تلك العصور، وتتبع الحركة العلمية والأدبية واللغوية فيها، فاني أحب أن اذكر أن الشاعر العربي كان لغوياً عالماً بأسرارها، وأدق معانيها. فَمنْ الفراهيدي واضع علم العروض، ومهندس البحور؟ ألم يكن لغوياً محنكاً، بل: اللغوي والنحوي الأول، وأستاذ سيبويه وهو من هو. وكتابه (الكتاب). .. ولا أزيد.

وهكذا، اغلب مسيرة الشعراء العرب، فلو تصفحنا تلك السير لوجدنا بشار بن برد يتفهم معاني اللغة، وسعة دلالاتها، فينتقد الشعراء الذين معه أو من نظّم قبله من حيث اللغة ودقائقها وتصريف كلماتها، أما المعرّي فألف عن الشعراء الكبار الذين عاشوا قبله مؤلفات في النقد اللغوي في شعرهم، وهؤلاء الشعراء هم أبو تمّام والبحتري والمتنبي، والمؤلفات: (صنعة حبيب، عبث الوليد، معجز احمد ـ إن صحت النسبة إليه). ومثله فعل ابن شهيد الأندلسي ـ الشاعر والأديب ـ إذ ألف مؤلفه (التهذيب في أحكام الترتيب) وهو كتاب لغوي، وحازم القرطاجني الذي نظم النحو في قصيدة طويلة بليغة.

أما العصر الحديث، فواكب العصور التي قبله، وفعل الشعراء المحدثون ما فعله أسلافهم فألف الرصافي شاعر العراق كتابه (الآلة والأداة) وهو معجم لغوي فذّ، صحيح أن الدكتور إبراهيم السامرائي ـ رحمه الله ـ كتب عليه عشرات الصفحات من الاستدراك والإضافة، لكن: يبقى الجهد الأول، والفضل لمن سبق.

واغلب اللغويين المعاصرين كانوا شعراء مبرزين في ساحات النظم، وميادين الإنشاد، من الدكتور رشيد ألعبيدي، والدكتور حسام ألنعيمي، والدكتور فاضل السامرائي. . وغيرهم من الشعراء العرب. فضلاً عن نقودهم اللغوية التي ظهرت على مئات النصوص الشعرية. لقد كانوا ـ قديماً وحديثاً ـ بمستوى المسؤولية العلمية، وحملوا تلك الأمانة، علماً ونظماً ونقداً، فهل نكون منهم؟

من أنواع التأليف في العصر الحديث.

رحم الله الكلاعي ـ المصنف الأندلسي في القرن السادس الهجري ـ حين قال: (من ألّف فقد أستُهدِف، إن أحسن فقد أستعطِف، وإن أساء فقد أستُقذِف)، ولست في معرض بيان السيء والحسن من التأليف في هذا المقال ولا في غيره، ولكن أودُّ الإشارة بأهمية بالغة إلى الرسائل والاطاريح الجامعية المُناقَشَة وغير المنشورة إذ أراها تحظى بالإهمال والتقصير من قبل الباحثين الآخرين. وفي المناقشات يأتي الكثير من الأساتذة بالجناية عليها، وينصحون ـ دائماً ـ بعدم الأخذ منها، أو الإحالة عليها، والثناء على صاحبها !

لقد عانى العراق في سنوات الحصار، وفي كوارث الحروب كثيراً، وكانت المعاناة الثقافية هي أشدُّ أنواع المعاناة، وأصعبها إذ توقّف الطبع، وتُركت دورُ النشرِ، وأهملت المطابع، وترك أكثر أصحابها عملهم بها، لذا، فليس من ذنبِ الباحث والدارس أن تبقى رسالته (للماجستير)، وأطروحته(للدكتوراه) حبيسة المكتبة الشخصية، ولونها المتشح بالسواد، ومعارفها الذين يتناقصون ولا يتزايدون.

لقد كانت هذه الرسائل والاطاريح مناراً للدراسات التي أتت بعدها، وبعضها أهتمّ بعلم التحقيق ولا سيما في العلوم الإنسانية كالتاريخ، واللغة، والأدب، والتراث وهي من الأهمية بمكان إذ لا يستطيع أيُّ باحث إنكار فضلها على الآخرين بإخراج النص المخطوط، والتعريف بمؤلّفه ومصنّفه.

ولقد دأبت دار الشؤون الثقافية على إصدار سلسلة من هذه الرسائل والاطاريح، كانت تُعرف بسلسلة (دراسات جامعية)، ومن ثمّ أصبحت (رسائل جامعية) وفيها المئات من هذه الرسائل المهمة والقيّمة في الاختصاصات كافة، وفي العلوم جميعها.

ومع كل هذا فقد بقيت الآلاف ـ ولا أبالغ ـ من هذا النتاج ينتظر الفرج، والإخراج إلى النور، بعدما جنى عليه الزمان، والمكان، والباحث نفسه بتركه أسير النسيان، و رهين الحرمان لكل من يحتاج إليه، ويسأل عنه، ويكون في طلبه.

إنّها دعوة للعودة إلى ذلك النتاج الطيب الأصيل، وما زال َالبلد قد شهد يقظة ثقافية، وطباعية، داخله وخارجه، أتمنى على كل ّ باحث أن يقدّم رسالته وأطروحته للنشر في دار مرموقة أصيلة، وأن يعود بالفائدة على آخرين، وأن يهتم بتوزيعها التوزيع العلمي والثقافي، لا أن يذهب جلُّها للواجهات الاجتماعية، والصلات من ذوي الأرحام والأقارب.

وما أسعدنا أن نسمع أنّ فلانا ً نشر رسالته، وآخر َ وزّع لنا نسخا ً من أطروحته، وثالثا ً. ورابعا ً. .، فيعيد لنا الثقة في باحثينا، ويبعث ُ فينا الهمّة لقطع طريق ٍطويل، يطول مهما قَصُر.

الشعرُ والنقدُ في الصحافة العراقية.

زوّدني الأستاذ الدكتور صالح علي ألجميلي بنسخةٍ من كتابه: (الشعر في الصحافة الموصلية ـ دراسة نقدية)، وهو في الأصل أطروحة جامعية أجيزت من إحدى الجامعات العراقية بدرجة محترمة، والأستاذ المذكور هو أستاذ الأدب الحديث في جامعة تكريت / كلية التربية، وقد تناول ذلك الشعر بقلمه الجميل، وأسلوبه البليغ، وقد استمتعتُ كثيراً بالشعر ونقده، وفضل صاحبه.

ومن قبل درس الدكتور مرشد الزبيدي النقد الأدبي في العراق من خلال الصحافة الموصلية ايضاً، والحديث عن هذا يطول وربما لا يتسع له الحديث هنا، وهو لن يتسع طبعاً.

وصلةً مع هذا الحديث يأتي بيت القصيد في مقالي هذا، وهو التقصير الكبير الذي نراه من الصحف العراقية في نشر النصوص الشعرية، والمقالات النقدية، ولا أدري لماذا؟! مع كثرة الصحف والمجلات في الشارع العراقي في محافظاته المختلفة، وكثرة الشعراء والأدباء في كل مكان من أمكنة بلدنا العزيز.

لقد ظهر معظم الشعر من خلال الصحافة وفيها برز أكثر النقاد في الأدب الحديث، وهذا باعترافهم، وبالدراسات التي أقيمت حولهم، كما أسلفتُ في الحديث عن دراسَتَي ألجميلي والزبيدي، بل؛ وعُرفت الأجناس الأدبية الجديدة من خلال الصحافة فأركان الرواية، والقصة القصيرة، والأقصوصة، وقصائد النثر ماهي ألاّ من إبتكارات الصحافة، وأفضالها على الأدب والنقد والشعر. ولذا إننا من هذه الصحيفة الثقافية نجدد العهد بصحافتنا وندعوها لتأخذ مكان الريادة الأدبية كما كانت دوماً، وأن تكون حاضنة للثقافة، والشعراء، والأدباء وإبداعهم ونشر نتاجهم، والاّ تطغى المقالات

السياسية والاقتصادية على الصحيفة من أولها لآخرها وما فيها غير الكلام المكرر المعاد، بلا فائدة أو منفعة في كل صحيفة، وفي كل افتتاحية، ونحن بانتظار القادم من المبدعين، ومن الجيل الجديد الذي نأمل منه الكثير، ونتوقع منه الكثير في الإبداع الأدبي والثقافي والفكري.

الثقافةُ العميقةُ للمجتمع وإحساسُ المثقف بها!

لا يمكن لأحد اليوم أن يتصور حجم الكارثة الثقافية التي تحل في هذا البلد، وقولي الكارثة ليس بالوصف المخيف أو الكبير أبداً بل هو الحجم الحقيقي لثقافة مجتمعنا العراقي اليوم.

فأنت لا ترى من يسال عن كتاب أو مجلة أو صحيفة، الكل في فوضى اجتماعية، سياسية، اقتصادية، وإلا ما التفسير المنطقي والعلمي الحقيقي لرجل سألته عن كتاب الأغاني - واحد من أشهر كتب الأدب العربي على الإطلاق - فأجاب: أعوذ بالله أنا لا اسمع الأغاني فهي محرّمة! وما قولك بإحدى دور النشر المرموقة في البلد تحيل كتاب: (الوقائع في وصف الحدائق) لمؤلف مجهول حققه الأستاذ نبيلة عبد المنعم، وهو في أخبار بغداد وتاريخها في عصر مؤلفه، تحيله إلى أمانة بغداد لتصويبه وبيان صلاحيته للنشر من عدمها !، وانظر في الجانب الآخر من ثقافة مجتمعنا اليوم، كم باع مكتب الهاتف الجوّال من كتب المسجات، وكم تُصرف المبالغ على الإعلانات والدعاية لهذه الكتب وغيرها، ولتُلاحظ أيضا - أيها المثقف العراقي الأصيل - كم بلغت درجة الحُمى، والانفعال عند شبابنا اليوم وهم في انتظار مباريات كأس العالم، وكم بلغ القلق النفسي لديه أكثر من قلقه على عائلته، ووطنه، وثقافته، إلى درجة أن البعض منهم - للأسف - فكر حتى في ترك الامتحانات أو تأجيلها، حتى لا تفوته الفرصة في مشاهدة نجوم السامبا أو أبطال أوربا أو اسود أفريقيا على حد زعمه. أنها المحنة، والاغتراب الحقيقي للمثقف الطموح، وهو يرى البلد في هذا المنزلق الخطير، فكيف ستكون الثقافة بعدها؟ ومن سيحضر إلى البيت الثقافي، ويحضر معارضه، ومهرجاناته، وفعاليته الأدبية، ومن يقرأ كتبه ونشراته؟ ! لا ادري.

أنني إذ اكتب هذه الكلمات لأضع أمامي بيت دُعبل الخزاعي المشهور:

وإني لأفــتح عينـــي حـــينَ افتحهـــا

عـــلى كثـــيرٍ، ولكـــن لا أرى أحـــدا

ولك بعد ذلك – أيها المجتمع المثقف – أن تحكم علـيّ، وعـلى مـا كتبـت، والاّ نـنسى جميعاً إننا في موقع المسـؤولية عـن بلـد الثقافـة ومـوطن الحضـارة، ومركـز الأصـالة، تلكـم المسؤولية التي تخلى عنها الجميع، وتنكّر لها البعض، وعزف عنها البعض الآخر فلـنكن أمـام ثقافة أصيلة، بمجتمع متحضر شهدت له الدنيا، ودانت له الحضـارة، بمجتمـع مـتحضر مثلـه، وإلاّ خسرنا كلّ شيء ونحن في طريـق الـخسران المبـين مـا دمنـا كـذلك، ولا حـول ولا قـوة إلا باللـه... والى لقاء.

هل انتهتْ الدراما التلفزيونية في العراق؟!

الحقيقة أن هذا السؤال دار في فكر الكثير من المثقفين والجامعيين والأدباء بل وحتى مشاهدي الشاشة الصغيرة. ويعود السبب في ذلك إلى ندرة المسلسلات الحقيقية الهادفة التي نراها على الفضائيات العراقية الكثيرة والكثيرة جدا، فهل جفت الموضوعات الصالحة لكتابة السيناريو والحوار؟ أم هجرة أصحاب الشأن من ممثلين وكادر فني وأداري؟ أم ماذا...؟! .

حتماً أن الموضوعات ليست قليلة ولا نادرة، ففي كل بيت عراقي مأساة تصلح أن تكون دراما مأساوية، وفي كل مدينة وعند كل شخص ما يصح أن يكون رواية ذات أربعة فصول سمان تشبع الفضائية الواحدة لمدة طويلة من الشهور وتحكي واقعا معيشاً وتشرح مأساة بلد لا تبدو لها نهاية ولا تلوح في افقه بوادر الخير والأمان والعافية.

فلننظر إلى الدراما التلفزيونية المصرية والسينما المصرية أيضا كم كانت روايات نجيب محفوظ ويوسف القعيد وقصص إحسان عبد القدوس مادة دسمة للمسلسلات والأفلام المصرية، وكم مثلت ونالت جوائز عدة، مصرية، دولية، عربية، أما نملك نخبة مجيدة من الروائيين وأصحاب القصص؟ إذن فأين الخلل ومن المسؤول؟! لا ادري ! والجانب التمثيلي وأشخاصه اضمحلوا تماما خلال السنين الأخيرة من شاشات التلفاز وعذرهم الجانب المادي وحجم الظروف المريرة التي يعيشها العراق وأنا معهم في ذلك، ولكن أين الأمانة التي في أعناقهم؟ وما يجب أن يفعلوه تجاه ذويهم ومحبيهم؟ ومن يعرفهم لولا هذا الطريق(التمثيل) وكيف ستكون نهايتهم؟ وأين وبماذا؟ وقس على ذلك كثيرا من الأسئلة الحارة التي لا أجد لها إجابة مقنعة وأظنك معي أيها القارئ الحبيب.

والبعض من هؤلاء الممثلين ومن ذوي الكفاءات منهم من ترك المهنة تماما وتحول إلى الجانب الأكاديمي ونال الشهادة العليا كالدكتور فاضل خليل، والدكتورة شذى سالم، والدكتور رياض شهيد، والسيدة سهى سالم، وما عادت لديهم الرغبة في العودة إلى أدوارهم التي عرفوا به، وعرفهم الناس بها، وإنما تحولوا إلى الدرس الجامعي والمحاضرات الأكاديمية وكأنهم هكذا ظهروا وهكذا سيبقون وللأسف الشديد.

إننا إذ نتحدث عن هذا كله وارجوا ألا يكون موجها ضد أحد إنما نتحدث عن إمكانيات هائلة من شخوص، وإدارة، وقصص يجب أن توضع أمام أعين المشاهد العراقي والعربي والأجنبي وعلينا ألا نترك المسؤولية الملقاة على عاتق كل واحد منا مهما كانت صغيرة أو يسيرة، وهي لن تكون أبداً مهما كانت بمثل هذا الصغر، وإلا كانت النتائج وخيمة أكثر مما هي، وتكفينا الهموم السياسية ومشكلاتها، ومعضلاتها، ولنذهب إلى الإبداع من طريق آخر عرف بها العراقيون، وظهرت عندهم قبل الجميع كيف لا وهم أصحاب أقدم تلفزيون عربي. ولنقل لممثلينا، ومخرجينا ومؤلفينا انتفضوا من غبار المادة المؤذي، ومن جرح الظروف المزمنة، وأتوا لنا بشيء يستحق منا أن نفخر بكم كما كنتم مبدعين، متميزين.

البابُ في مسلسل باب الحارة وتداعياتُ السرد الأخرى (الجزء الخامس....مثالاً).

وانتهت قصة باب الحارة، وقضى مسلسلها بما فيه من أحداث، وملابسات، وتعب، وقولي (تعب) تشمل طبيعة العمل الضخم، وكذلك تعب المتلقي والمشاهد وهو ينتظر السنة تلو الأخرى ليرى ما سيحدث فيها من أحداث وكيف ستنتهي وكيف سيكون هذا الجزء وما جديده، وما طريفه، وما حزينه. . الخ.

وبقي الباب أو فضاء العتبة والوصول هو الممهد لباقي تداعيات السرد من حوار وحبكة وشخوص وزمان. . ولعلّ المخرج وكاتب السيناريست كان ذكياً حين أعاد الباب المخلوع في نهاية الحلقة الأخيرة من الجزء الأخير، وأبقى على النهاية المفتوحة للمسلسل فبقيت كل تلك التوقعات والاحتمالات مفتوحة أمام المشاهد ليتصور كيف ستكون النهاية للشخوص، والسرد، والأحداث، والمهم إن الحديث عن الباب وأثره في المسلسل قد لا يقتصر على مقال واحد، ولا يتسع له أبداً. فالباب حمل مشاعر أهل الحارة المفرحة، والمحزنة، الصغيرة والكبيرة، الماضي والمستقبل. كذلك هو من كان خلف تصاعد وتيرة الأحداث التي تجري في الحارة، وتنامي الحبكة وصولاً إلى النهاية المفتوحة التي أرادها الكاتب للمسلسل.

فضلاً عن ذلك كلّه ارتبط المسلسل بهذا الباب عنواناً ، و افتتاحية فمن البداهة أن يأتي الحديث و التصوير و السرد عن الحارة التي تعيش خلفه، وعن الناس الذين يسكنون في هذه الحارة، وطبيعة معيشتهم، وعلاقاتهم الاجتماعية و الأسرية، وصلاتهم بالحارات الأخرى التي بدأت تتحسن، و تنتهي بمشاعر العطف، والحنان، بعد ما تعرضت

حارة الضبع وبابها لمصاعب المحتل ومآسيه، وويلاته التـي لا ينجـو منهـا مكـان أو شـخص أو مدينة، ومن هنا تأتي أهمية أخرى لهذا الباب (العنوان)، وكيف يجب أن يكون دالاً وموحياً لما بعده، ومفتاحاً إليه ، وفي ظني أن العنوان كان متسقاً لأفكار كاتبـه، ومعبـّراً عمـّا أراد، وموافقاً للسيناريو باجزائه الكثيرة، وحلقاته الطويلة، ومسألة أخـيرة في أهميـة هـذه الثيمـة المكانية (الباب)، هو انه كان مركز القتال وبؤرة الحصار. فيه كانت الحارة سعيدة، وأهلهـا في سعادة وعمل وتكـاتف اجتماعـي واقتصـادي ومعـاشي، ومـن دونـه كـان الجميـع في فـوضى، وضياع، وتمزق، وبحصاره كانت الحارة موحشة، مقززة، يـُرى فيها الـدمار، وتلـوح عليهـا آثـار الخراب، وتظهر فيها سمات الحزن، والبكاء، والنعيب.

وكلمة أخيرة: أرجـو ألا تتكـرر مواقـف بـاب الحـارة، وشخوصـها لا في فكـر كاتبهـا، أو مخرجها، ولا في فكر الكتـّاب الآخرين، والمخرجين وأصحاب الإنتاج. . وسواهم، بل البحث عن نصوص جديدة، وأفكار جديدة لعلها تصل بالسيناريو العربي ومخرجه لمثـل مـا وصـلت إليـه حارة الضبع وبابها، أو تتفوق عليها.

دارُ الشؤون الثقافية..وفاءُ العلم، وآثارُ العلماءِ.

لا أُريد في هذا المقال ـ ولا في غيره طبعاً ـ أن أبيع مجاملة مجانية أو أذيع مدحاً كاذباً، وثناءً خادعاً، ولكن: للحق، وللعلم، والتأريخ، أقول: استطاعت دار الشؤون الثقافية العامة في بغداد أن تنهض بعد الاحتلال، وأن تعود للإبداع، والنشر، والإشهار بعد كل مصيبة ومأساة، وهي ـ المصائب والمآسي ـ في بلادي كثيرة، أكثر من أنهاره، وأمرّ من لياليه.

ويعجبني ـ كما يعجب غيري ـ السلاسل الذهبية التي تواكب هذه الدار الموقرة على إصدارها، مثل: سلسلة رسائل جامعية، وسلسلة دراسات، وسلسلة خزانة التأريخ فضلاً عن القصص، والروايات، والمجموعات الشعرية.

ويسعدني أن أفخر بالسلسلة الجديدة (وفاء)، وبالأخرى (علم وأثر)، وهي تصدر الكتاب بعد الكتاب، والدراسة تلو الدراسة لباحثين وجامعيين عراقيين رحلوا عنّا إلى دار البقاء وبقيت أسماؤهم، وآثارهم، ومؤلفاتهم، إيماناً بقول احدهم:

تلك آثارُنا تدلُّ علينا ... فانظروا بعدنا إلى الآثارِ

وفي هذا الوقت العصيب الذي يمرّ به البلد، وهو يعاني الأزمات السياسية، والاقتصادية، والإدارية، ومازال يفقد العلماء، والأدباء، والشعراء، والمفكرين، أهيب بالدار ـ مشكورة ـ أن تواصل مسيرتها اللامعة في إصدار آثار هؤلاء الراحلين من أعلام الفكر، وأصحاب المصنفات، والمؤلفات.

وليس هذا فحسب، بل، واستكتاب باحثين، ودارسين ليكتبوا عن أُناس رحلوا عنّا خدموا المسيرة العلمية والفكرية العراقية، كالدكتور محمود عبد الله الجادر، والدكتور يونس السامرائي، والدكتور رشيد ألعبيدي، والدكتور عبد الحسين ألفتلي، والدكتور

نوري جعفر، والشيخ محمد حسن آل ياسين. .. وغـيرهم، إذ تسـتدعي هـذه الـدار الميمونـة الكتّاب والمفكرين وأهل العلم للكتابة عنهم، متناولين سـيرتهم الذاتيـة، وأعمالهـم المنشـورة وغير المنشورة بالتحليل، والدراسـة، والتفصـيل، والتعليـق، وليصـدر الكتـاب في ذكـرى وفاتـه الأولى، أو الثانية. . وهكذا نستمر في حركة الوفاء الواجبة، وزكاة العلم المفروضة.

الدكتور داوود سلّوم. .

عالمٌ آخر ينطوي.

بعد رحيل كوكبة منيرة من علماء العربية في القرن الحادي والعشرين، طالت يد القدر الدكتور داوود سلوم لينضم إلى تلك الكوكبة الفذة من العلماء الأجلاء والباحثين المخلصين.

والدكتور داوود سلوم - لمن لا يعرفه - أستاذ الأدب المقارن والنقد الأدبي في كلية الآداب وكلية التربية للبنات في جامعة بغداد، وله كثيرٌ من المؤلفات والمصنفات التي تدل على سعة علمه، وغزارة إطلاعه، وتبحّره في الكتابة، والبحث، والتأليف، والتحقيق، وقد برع الدكتور داوود سلوم في الكتابة عن الأدب المقارن لتمكنه من اللغات الأخرى، وكثرة معرفته بالآداب الأجنبية والغربية، من مؤلفاته: تطور الفكرة والأسلوب في الشعر العراقي في القرنين التاسع عشر والعشرين، ومقالات في النقد الأدبي عند العرب، والنقد المنهجي عند العرب، والمرأة في الآداب العربية والعالمية، والأدب المقارن - بمشاركة الدكتور جميل نصيف - والأدب المقارن التطبيقي، وآخر مؤلفاته صدوراً كان عن أثر الأدب العربي في الآداب العالمية. وله في التحقيق أيضاً: تحقيق ديوان الكميت بن زيد الأسدي بمشاركة الدكتور نوري القيسي، وتحقيقه شعر زيد إبن مفرغ الحميري.

وله رواية صدرت آخر السبعينات تتحدث عن الزمن الذي عاش فيه، وما حدث فيه.

للدكتور داوود سلوم منهجه الخاص في البحث، والتأليف، والتحقيق، فنقده يتسم بالأسلوب الهادف، واللفظ الموحي بالشخصية التي تكتب، والمعبرة عن الفكرة التي تريدها هذه الشخصية مما تكتب.

ومن سماته أيضاً، كثرة العنوانات الفرعية التي يستخدمها، وكأنه يكتب كتاباً منهجياً للأجيال التي تعقبه في الدراسة والتعلم،

ومن سماته البحثية الأخرى، كثرة المظان التي يعود إليها ولا سيّما الأجنبية، والغربية، والمعرِّبة من البحوث والكتب والمقالات وأما آراؤه، فهي بحاجة إلى دراسة مستقلة تتناول سيرته الذاتية، والعلمية، ومؤلفاته وأثرها في الأدب العربي ونقده. خلف الدكتور داوود سلوم تركة كبيرة من البحوث، والدراسات، والمقالات الأدبية الرصينة التي نُشرت في أغلب المجلات العلمية المحكّمة داخل العراق وخارجه كما سافر إلى خارج العراق مرات عدة درّس في بعض البلدان العربية والأفريقية، وحضر هناك الندوات والمؤتمرات، وكان متميزاً فيها، بشخصه، وكتاباته، وآرائه.

أيضاً، ترك الدكتور داوود سلوم مكتبة ضخمة عامرة بأمّهات الكتب التي تُعنى باللغة العربية وأدبها، وكُتب الأدب الأجنبي المعرّبة وغير المعرّبة، كما خلّف الدكتور داود الدكتورة إنعام ـ ابنته ـ التي هي اليوم خلفاً لأبيها في العلم، و البحث، والتحقيق، والتأليف، والتدوين، والتدريس.

حضارتُنا وهل نسيناها؟

الأندلس..أنموذجاً.

لاشك في أنْ أقول أنَّ دول أوربا وأمريكيا قد تطورت في القرون الأخيرة تطورا هائلا أبهر العالم كلَّه، وشهد له بالانصياع، ودان له بالانقياد والطاعة. وليس الأمر مقتصراً على هذه الدول - كما يعلم الجميع- وإنما هنالك بعض الدول الأسيوية والإفريقية التي أصبحت تضاهي تلك الدول في الحضارة، وتنافسها وتتفوق عليها.

وبقي العرب ينظرون إلى هذه الدول وتلك. مرة بالإعجاب، وثانية بالتقليد الفاشل، وثالثة بالتغني بالتاريخ والأمجاد. .. ولا يحركون ساكناً، أو يسعون لشقِّ حضارةٍ في طريقٍ جديدٍ وهم قادرون وقادرون وقادرون. ولله درُّ المصنف والمحقق والمؤلف الأستاذ المرحوم هلال ناجي حين سألته إحدى فاتنات الغرب وكان هناك يومها. ممن الرجلُ؟ قال: أنا. قالتْ:نعم، فأجاب:

تُساءلني من بلادِ الشرقِ أنتَ؟ فقلتُ: أجلْ، من بلادِ العربْ!

وحضارة الأندلس وبناؤها كانت اكبر دليلٍ، وأعظم شاهدٍ على تطور العرب في عصورهم المجيدة.فقد بنى العرب والمسلمون في قرطبة وبلنسية وغرناطة وطليطلة المشافي، والمدارس، والحمامات، وكانوا مبدعين وبشهادة الجميع ممن زار تلك البقاع وعرفها، ولعلَّ آثارها باقية إلى يومنا هذا والى يوم القيامة.

وأوصلوا طرق تلك المدن بالمصابيح، إذْ كانت قرطبة مُزدانة بها مُنورة في شوارعها وقصباتها يوم كانت أوربا تغطُّ في سباتٍ عميقٍ طويلٍ. وكانت هذه المدينة العظيمة تطلُّ على أوربا ومشهورةٌ بحماماتها التي لايدخل إليها إلاّ الأوربي، ويجب أنْ يدخل في أكثر

من حمامٍ واحدٍ للتأكد من نظافته خشية أنْ يوسخ المدينة أو شوارعها أو أحيائها النظيفة المرتبة، وتصوروا المفارقة بين اليوم والأمس!

وكان الشعر الأندلسي المصور الأكبر، والفضائية الإعلامية الأجمل التي صورت هذه الحضارة، ونقلت أخبارها وحكاياتها وقصص الاستثمار فيها إلى الناس فتكامل البناء وبلغ الذروة في الإتقان والفن، إعلامياً، وحضرياً، وتاريخياً.

ولذا أدعوك أيها القارئ اللبيب أنْ تقرا شعر ابن دراج ألقسطلي، أو شعر ابن سهل الاشبيلي، أو شعر ابن زُمرك الغرناطي الأندلسي، أو ديوان لسان الدين بن الخطيب، وشعر ابن فركون...

لترى وتلمس كيف كان الشاعر الأندلسي مهتما بتلك الحضارة، وهاتيك الفنون والنقوش على الحمراء، وتلك المباني من القصور والمساجد والمدارس والمشافي، ولتعرف من خلال هذا الشعر على أدقِّ تفاصيل ذاك البناء العظيم، وابسط أجزائه، واهم جوانب الإبداع والابتكار فيه.

فالحضارةُ ليست حكراً على أحدٍ، ولانزلتْ بقومٍ دون آخرين، ولذا يجبُ ألا ننسى تلك الحضارة ونسعى لاسترداد ولو حُلماً.

التحقيقُ ونقدُ التحقيق عندَ الدكتور الأعرجي.

نعت الأوساط الأدبية والجامعية في العراق والوطن العربي الكبير الأستاذ الدكتور المحقق محمد حسين الاعرجي، أستاذ الأدب العربي، والنقد الأدبي، والتحقيق في جامعة بغداد. كلية الآداب، قسم اللغة العربية.

وفي هذا المقال سأخصُّ الحديث عن التحقيق ونقد التحقيق عند الدكتور الاعرجي، إذ انه- المقال- ، لايتسع لكل جهود الفقيد في التأليف والبحث والدرس من جهة، كما أنْ صاحبه قد اختص بالتحقيق أكثر من باقي العلوم الأخرى من جهةٍ أُخرى.

من أوائل التحقيقات التي نشرها الدكتور الاعرجي، تحقيقه لكتاب الأمثال لأبي بكرٍ الخوارزمي. وفي تحقيق لهذا النص التراثي المهم خرَّج المحقق الاعرجي الأمثال كُلاً على حده، وشرح المفردات اللغوية الصعبة والتي تستحق الشرح، وخرَّج الأبيات الشعرية من مظانها، عمل من هذه الأبيات مستدركاً على الدواوين والمجموعات التي صدرت عن المحققين العرب والعراقيين، وعلى تلك التي حققها وصنعها بنفسه.

ومن تحقيقاته الأخرى، تحقيقه لمقطعات مراثٍ لابن الأعرابي. وهذا الكتاب احتجن مواداً لغويةً كثيرة وصعبة التناول إلا على المحقق الثبت، المثابر المجد، ولاسيما وانه من اختيار ابن الأعرابي اللغوي والنحوي، وراويها ثعلب وهو أمام أهل الكوفة في اللغة والنحو.

واشتهر الدكتور الاعرجي بتحقيق الدواوين، ومنها تحقيقه لديون أبي حُكيمة ألسعيدي، وديوان الحماني، وديوان العجلي. كما عمل الدكتور الاعرجي الكثير من المستدركات والمقالات والبحوث التي تخصُّ نقد التحقيق ونشر هذه الجهود في المجلات العربية والعراقية المحكمة والأصيلة، ومنها أعادها في كتابه أوهام المحققين. وله منهجه

الخاص في الاستدراك على دواوين الشعر العربي، جعله في مصاف المستدركين ألاوائل مع الشيخ هلال ناجي، والمرحوم الدكتور نوري حمودي القيسي، والدكتور حاتم صالح الضامن. ..وغيرهم.

الفرقُ بين كتابةِ الشعر ونظمه

ساءني كثيرا وجدا، كما ساء الكثيرون من أهل الفكر والأدب ما يجري في الساحة العراقية من كثرة الشعراء، وكثرة الدواوين الصادرة لهؤلاء من قبل دور النشر والمطابع الغريبة العجيبة داخل العراق وخارجه!

وللحقيقة العلمية أقولُ: كان اغلب الشعر في تلك الدواوين بلا معنىً، أو روح أو خيال، أو صور. وهو حتما بلا موسيقى عذبة، أو لفظٍ رشيقٍ يجذب النظر، ويحير الفكر، ويداعب الروح، ويجعلها تحفظه وتنشده وتتناقله على الألسن والورقات...

وان تحدثت عن لغة هؤلاء الشعراء فسأحتاج لمجلدات ومجلدات، كي انقد لغتهم- إذا آمنا أنها لغة- ، والفظهم الركيكة، وصورهم المنهوبة من عيون الشعر العربي في أبهى قصائده وعند اكبر شعرائه، ومن الله العافية.

فإلى هؤلاء أتمنى أنْ يعودوا لنصوص الفرزدق، وصور جرير، وروائع المتنبي، وأماديح البحتري، وأحزان أبي العلاء المعري وفلسفته. علَّكم تكونوا بمصافهم، وبمستوى هذا التراث الجليل، وألا تغتروا بكثرة الدواوين المطبوعة، فصدقوني أنها بلا أهمية أو فائدة فعلى أيديكم تحول الشعر إلى كتابة مكروهةٍ، فكونوا على حذرٍ كبيرٍ.

وعتبي الشديد على وزارة الثقافة العراقية التي سمحت لمثل هؤلاء الشعراء بالظهور والتبختر أمام الناس، ولمثل هذه المطابع والدور بترويج الثقافة العراقية واصدرا ها إلى الجماهير فهما- الشعراء والمطابع- نكبةٌ حقيقة أكثر من نكبة الاحتلال، ولاحول ولاقوة إلا بالله العليم.

صباح نوري المرزوك شيخُ مفهرسي عصره

تذكرنا أعمال هذا الرجل بأعمال المفهرس الكبير كوركيس عواد، والمفهرس الاختصاصي ميخائيل عواد، وهما باحثان مفهرسان اختصاصيان في التراث والأدب والفكر.

أصدر الدكتور المروزك تكملة معجمية لعمل الراحل الكبير كوركيس عواد حين نشر معجم المؤلفين والكتاب العراقيين في ثمانية أجزاء ضخمة، حوى جهد ثلاثين سنة من الفهرسة والجمع والترتيب، ووصل به إلى نهاية سنة 2000م، وضمَّ كلَّ الجهد العراقي المطبوع وغير المطبوع، في الاختصاصات كلِّها، وللإعمال أجمعها.

وهو الآن يواصل تكملة السنين من 2000الى سنة 2010، من الفهرسة والببلوغرافيا الشاملة الكاملة لكلِّ جهدٍ عراقي صدر في هذا العقد.

لم تكون هذه الأعمال هي الوحيدة التي أصدرها الدكتور المرزوك، وإنما اصدر كتابا عن ابن زيدون الأندلسي، وآخر عن نازك الملائكة، وعن الحلة - مدينته- وشعرائها وآثارها، وفي كل هذه الأعمال يتسم الدكتور المرزوك بالصبر على المعلومة، والتأني في سبيل إدخالها إلى الببلوغرافيا التي يعدُّها، وروح علمية طيبة، وكلمات رشيقة، وأسلوبٍ لايُملُّ.

عاشرته عن كثبٍ، حين كنا سويا في مؤتمر جامعة تكريت للمخطوطات، وفيه ألقى بحثه القيم عن المخطوطات العربية في تركيا، أبان فيه عن علم غزير، متابعة رائعة، وجهد كبير، في التصنيف، والفهرسة، والجمع، والتحقيق، والترتيب...

شارك الدكتور صباح في الكثير من المؤتمرات والندوات العلمية داخل العراق وخارجه. كما اشرف على الكثير من الرسائل والاطاريح الجامعية، وناقش العديد منها

في مختلف علوم اللغة العربية، في النقد، والأدب، والتحقيق، والأدب المقارن الذي هو مجاله الأول، وميدانه الأكبر.

وأثمرت مشاركته الأخيرة في ملتقى البابطين وجائزته الشعرية عن طبع كتابه الموسوعي(معجم الشعر العربي المطبوع حتى نهاية سنة 1970م)، الذي صدر في ثلاثة أجزاء وكان- كسائر كتبه الأخرى- من الموسوعية والإتقان والجهد.

نتمنى للدكتور المرزوك دوام الصحة والعافية والعمر المديد لانجاز أعماله العلمية والأدبية الكبرى.

لقد سطع نجمُه في العراق في السنين الأخيرة من القرن الماضي، والسنين الأولى من هذا القرن، عالماً ومفهرساً وأستاذاً كبيراً ومرموقاً. فنتمنى له التألق الدائم، والنجاح المستمر على طريق البحث العلمي الأصيل، والفهرسة، والتدريس، والتحقيق...

علامةٌ مضيئةٌ في تاريخ العراق المعاصر..

عباس هاني الجراخ.

(كُتبِ في وقتهِ).

لاتنقطعُ الحلة الفيحاء عن إنجابِ العلماء والبحثين والدارسين في كل زمانٍ. فقد قدمت هذه المدينة الطيبة ثلةً كريمةً من الباحثين والمثقفين والشعراء والمحققين. فمن علي برن ربعي بن نما إلى صفي الدين الحلي. ومن طه باقر إلى علي جواد الطاهر...والى اخزين ما زالوا على طريق العلم والأدب والتكاليف والتصنيف وصولاً إلى عالمنا اليوم.

وأبو حوراء- وهذه كنيتُهُ- عالمٌ جليلٌ، وناقدٌ وأصيلٌ، ومحققٌ ثبتٌ، شهد له الجميع بحسن اطلاعه وبنزاهته، كثرة تأليفهِ على الرغم من صغر سنه وقصر الحقب التي ظهر فيها إلى الناس عالماً ومحققاً وناقداًوأديباًومؤلفاً.

ولد الجراخ في مدينة الجامعيين الحلة في العراق، في سنة 1965م.وتخرج من كلية الآداب في جامعة بغداد للبكالوريوس في سنة 1987م، ونال شهادة الماجستير من كلية التربية في جامعة بابل، في سنة 2000م، وبتقدير ممتاز عن رسالته الموسومة ب: (ديوان سيف الدين المشد ت656ه، تحقيق ودراسة وتذييل).وحصل على الدكتوراه من الكلية نفسها، وفي الجامعة نفسها، في سنة 2007م، وعن أطروحته الموسومة بـ:(تحقيق النصوص الأدبية واللغوية ونقدها في العراق).

أصدر الأخ عباس عشرات المقالات والبحوث النقدية التي أبانت عن سعة علمه وكثرة اطلاعه، وتميزه على الآخرين في الدرس والبحث والتأليف والتحقيق ونقد التحقيق.

وفي نهاية حديثي عن هذه الشخصية العلمية والفكرية المهمة في العراق في عصره الحديث، يسعدني أن أُقدم قائمة وراقية بآثار الأخ الجراخ في التأليف والتصنيف والفهرسة والتحقيق....

وأتمنى أنْ يحذو كل باحث ودارس حذوها لنكن على مستوى الامانة البحثية والفكرية تُجاه بلدنا وأُمتنا. وقد كُسرت هذه الآثار على جذمين هما، وكما يأتي:

1.الآثار المطبوعة:

- نشر الشعر وتحقيقه في العراق حتى نهاية القرن السابع الهجري، بالمشاركة.
- في نقد التحقيق.
- ديوان علي بن البطريق الحلي.
- تحقيق النصوص الأدبية واللغوية ونقدها في العراق.
- نظرات في عيون التراث.
- المقصد الأتم في شرح لامية العجم، تحقيق، بالمشاركة.
- شعر يوسف بن لؤلؤ الذهبي.
- شعر أبي فرعون الساسي.
- شعر محمد بن داود الأصفهاني.
- موفق الدين بن حديد، حياته وما تبقى من شعره.
- احمد بن معقل الازدي، حياته وشعره، وموقفه من ابن جني.
- معجم الشعراء، تحقيق.
- ذيل مرآة الزمان، تحقيق.
- الحارثي، حياته وشعره.
- محاضرة الأديب ومسامرة الحبيب، تحقيق.

- مناهج تحقيق المخطوطات.

- شعر السروجي.

- الشفاء في بديع الاكتفاء، تحقيق.

- فضُّ الختام عن التورية والاستخدام، تحقيق.

- فوات الدواوين.

- ملامح من الاتجاهات الفلسفية في الأدب العربي.

2.الآثار المخطوطة:

- في نقد التأليف.

- شعر صاحب الزنج.

- معجم الدواوين المحققة في العراق.

- دراسات في اللغة والنادب.

- جعفر بن قدامة الأديب الراوية.

- خمسة شعراء مغمورون.

- الخراج وصناعة الكتابة، دراسة تحليلية.

- ديوان المشد.

- شعر الزبير بن بكار.

المحمدون ودراسةُ الأدب الأندلسي

في العصر الحديث.

منذ مدةٍ ليستْ بالقصيرة وأنا أفكرُ في الكتابة في هذا الموضوع الذي وُسِمَ من قبلِ الآخرين بالجميل واللذيذ واللطيف... وما إلى ذلك من خواطر عفوية بسيطة متواضعة، لامنهجية ولا علمية ولا موضوعية البتة! ولست في معرض الردِّ على هؤلاء وخواطرهم وغيرهم ممن يفكر بفحوى هذا العمل أو يسمع به، لأني أضعُ الدليل العلمي الكبير بين أيديهم وأيدي الآخرين، وما ذلك الدليل المنشود إلاَّ ما صنَّفه العالم القفطي في القرن السابع الهجري في كتابه الشهير(المحمدون من الشعراء وأشعارهم). وقد حُقِقَ هذا الأثر العلمي الأصيل أكثر من مرة واحدة، ونُشر في مكان واحد من أماكن بلداننا العربية العزيزة، ولعلَّ أفضل هذه النشرات وأغلاها نشرة وتحقيق المرحوم محمد أبو الفضل إبراهيم.

ومن هنا فالصة واجبةٌ لمثل هذه الأعمال الجليلة، والإكمال مطلوبٌ لما بدأ به أسلافنا العظام، فنقول ومن الله السداد، وعليه الاتكال.

قبل البدء بتراجم المحمدين في العصر الحديث، لابدَّ من التنويه على أنَّ العمل سيشملُ الكتب المطبوعة فقط، وبأسماء الكتب إذْ تجافيتُ عن الناشر ومكانه خوفاً من أنْ بعض الأعمال أُعيدَ نشرها بأكثر من مكان.وليس من وكد الباحث، ولايتسعُ مقالُه لكلِّ مانشرته هذه الأسماء من البحوث والمقالات. وعذراً سلفاً إنْ نسيتُ مؤلفاً أو أثراً، لان العمل كبيرٌ، والجهود كثيرةٌ، وسأكملُ ما بدأتُ بها يوماً إنْ كان في العمر بقية...

1. **محمد بن شريفة:**

- أبو المطرف المخزومي - حياته وآثاره-.
- أبو الطيب وأبو تمام في آثار الأندلسيين والمغاربة.
- أديب الأندلس أبو بحر التُجيبي.
- أبن مغاور الشاطبي.
- الذيل والتكملة، تحقيق، في بعض أجزائه.
- أبن حريق البلنسي.
- ديوان أبن فركون.
- مظهر النور الباصر، تحقيق.
- أبن رُشد الحفيد.
- ديوان أبي فراس الحمداني بالرواية المغربية، تحقيق.
- ديوان الطويجن الساحلي.

2. **محمد بن تاويت التطواني:**

- ديوان أبي الربيع بن سليمان الموحِّد، تحقيق، بالمشاركة.

3. **محمد تاويت الطنجي:**

- دوين أبي الربيع بن سليمان الموِّحد، تحقيق، بالمشاركة.

4. **محمد توفيق آل النيفر:**

- ديوان أبن زُمرك الغرناطي الأندلسي.

5. **محمد التونجي:**

- ديوان أبن عبد ربَّه الأندلسي.

- العقد الفريد، تحقيق.

6. **محمد حامد عبد المجيد:**

- ديوان المعتمد بن عبَّاد، تحقيق، بالمشاركة،
- المطرب من أشعر أهل المغرب، تحقيق، بالمشاركة.

7. **محمد الحجوي:**

- شرح الحجب المستورة عن محاسن المقصورة، تحقيق.

8. **محمد الحبيب بن الخوجة:**

- مقطعات وقصائد صنعة حازم القرطاجني.
- ملء العيبة بما جُمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، تحقيق.

9. **محمد رضوان الداية:**

- ديوان الغزال.
- ديوان أبن عبد ربه الأندلسي.
- أبو البقاء الرندي شاعر رثاء أهل الأندلس.
- ديوان أبي أسحاق الألبيري.
- ديوان أبن خاتمة الأنصاري.
- شعر سعيد بن جودي.
- الجنان من أخبار جيَّان، تحقيق.
- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس.
- في الأدب الأندلسي.
- موشحات شامية وبحوث أخرى.

- المعيار في أوزان الأشعار، تحقيق.

- نثير فرائد الجمان، تحقيق.

- نثير فرائد في نظم فحول الزمان، تحقيق.

- أبن الجنان وقصيدة المديح النبوي في الأندلس.

- أبن خفاجة ومدرسته في وصف الطبيعة.

- الحماسة المغربية، تحقيق.

- أحكام صنعة الكلام، تحقيق.

10. محمد زكريا عناني:

- الموشحات الأندلسية.

- شعر أبن مجبر الفهري الشقوري الأندلسي.

11. محمد سعيد العريان:

- العقد الفريد، تحقيق، بالمشاركة.

12. محمد شهاب العاني:

- الشعر السياسي في الأندلس في عصر الطوائف.

- أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي من الفتح حتَّى سقوط الخلافة.

13. محمد صالح البنداق:

- ديوان الغزال.

14. محمد عبد الـلـه عنان:

- دولة الإسلام في الأندلس.

- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق.

- لسان الدين بن الخطيب وتراثه الفكري.

- ريحانة الكُتَّاب ونجعة المُنتاب، تحقيق.

15. **محمد عبد المنعم خفاجة:**

- قصة الأدب في الأندلس.

16. **محمد عبيد صالح:**

- المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتَّى سقوط الخلافة،
- الوجه البلاغي وأثره في السياق الشعري الأندلسي.
- أدبن أبن عاصم الغرناطي، بالمشاركة.

17. **محمد العروسي:**

- موسوعة شعراء الأندلسي.

18. **محمد عويد الساير:**

- الأعمى التطيلي - شاعر عصر المرابطين-.
- المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتَّى سقوط الحكم العربي في الأندلس.
- أدب أبن عاصم الغرناطي، بالمشاركة.
- المستدرك على صناع الدواوين والمجموعات الشعرية الأندلسية.
- ثلاثة شعراء أندلسيون.
- أبن عسكر المالقي - حياته وأدبه وكتابه أعلام مالقة-.
- أبن هذيل التُجيبي الغرناطي.
- زمردة الأندلس.
- دراسات نقدية تحقيقية في الشعر العربي والأندلسي.
- ديوان أدب العميان في الأندلس، بالمشاركة.

19. **محمد فرج دغيم:**

- ديوان أبن سهل الاشبيلي.

20. **محمد فؤاد رجائي:**

- الموشحات الأندلسية.

21. **محمد كامل الفقي:**

- في الأدب الأندلسي.

22. **محمد كمال شبانة:**

- يوسف الأحمر ملك غرناطة.
- المرقصات والمطربات، تحقيق، بالمشاركة.
- السحر والشعر، تحقيق، بالمشاركة.
- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق.
- كُناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق.

23. **محمد مجيد السعيد:**

- ديوان أبن اللبانة.
- ديوان أبن بقي.
- الشعر في ظلِّ بني عباد.
- الشعر على عهد المرابطين والموحدين بالأندلس.
- بحوثٌ أندلسيةٌ.

24. **محمد مُرسي الخولي:**

- بهجةُ المجالس وأُس المُجالس، تحقيق.

25. **محمد مهدي البصير:**

- الموشح في الأندلس والمغرب.

(أدباء مالقة)...

من مصادر دراسة الأدب الأندلسي

في عصر الموحدين.

تعاون على تأليف هذه الأثر الأندلسي الطيب اثنانِ من العلماء والمصنفين، ألا وهما:أبن عسكر المالقي(ت636هـ)، أبن أخته وتلميذه الوفي أبن خميس(ت بعد 639ه).

ومثلما كان الجهد في كتابة تراجم الكتاب، وتألفيه لمصنِّفْين أثنين، كان أخراجه لبني البشر في القرن الماضي لمحققين فاضلين، هما: الأستاذ الدكتور صلاح جرار، والدكتور عبد الله الترغي المرابطي. صدر تحقيق الدكتور جرار في عمّان، في سنة 1999م. وصدر تحقيق الدكتور الترغي، في بيروت عن دار الغرب الإسلامي، في السنة نفسها.

والكتاب في فنِّ التراجم الأندلسية المختلفة التي وردت على هذه المدينة، مالقة، منذ تأسيسها إلى وفاة المصنِّفيْن. وقد احتجن مادة واسعة من الأخبار الأدبية الجديدة، الأخبار التاريخية، والأخبار الحضرية، فضلاً عن الشعر، والنثر، وأسماء المصنَّفات التي عُرفت للمترَجَم لهم في الكتاب، فهو يعدُّ جهداً أدبياً أندلسياً رائعاً موازنةً مع الظروف التي أحاطتْ بالمؤلَفَيْن وعصرهما.

وقد رُتِّب الكتاب- منهجياً- بحسب حروف المعجم العربي وعلى التسلسل المغربي. ووصل الى حرف الميم في الترجمة والتعريف والكتابة.

وتقوم الترجمة على ذكر اسم العَلَم، وكنيته، وبيان هويته المعرفية، وأسماء شيوخه وتلامذته، ومن ثمَّ نبذة عن آثاره، وما نظمه من الشعر والنثر والرسائل.

يحوي كتاب أدباء مالقة نصوصاً شعرياً في شتَّى الأغراض الشعرية، من المديح، والوصف، والرثاء، والاخوانيات، والمساجلات، والغزل. وتختلف النصوص الشعرية الواردة في الكتاب بين الطول والقصر، بين المقطوعة وبين القصيدة الطويلة. وحتَّى هذه الأخيرة ربتما تكون مبتسرةً ومختارةً وذلك ما يصرح به كلٌّ من المؤلِّفَيْن بعد انتهاء ما يختارانه من النص لطوله، أو لذائقتهما النقدية التي تطلُّ علينا بين الترجمة والأخرى في ثنايا هذا الكتاب الجليل.

وقد أتسمت لغة الكتاب بالسهولة والوضوح، والمادة العلمية المهمة ولاسيما في النتاج الأدبي الذي يوردُ أحياناً لأول مرةٍ للشخصية المترَجمِ لها.فرحمَ اللـهُ مَن صنَّفَ ومَن حقَّقَ، وللمزيد.

أبنُ مجبر الفهري الشقوري

من شعراء الأندلس في عصر الموحدين.

هـو أبـو بكـر يحيـى بـن عبـد الجليـل بـن عبـد الـرحمن بـن مجـبر الفهـري المُـرسي الاشبيلي.من أهل فرتُش من احواز شقورة، ولد أبن مجبر سـنة 535هــ وتُـوفي سـنة 588هــ. ودُفن بمرَّاكش ليلة الأضحى وهو ابن ثلاثٍ وخمسينَ سنة.

قيل في شعره من قِيل مَن تَرجم له، أو عرَّف به:

- بحتري الأندلس.
- شاعر زمانه الأوحد.
- البليغ.
- شاعر زمانه الأوحد.
- شاعر الأندلس في زمانه بلا مدافعه.
- شاعر المغرب في وقته.

وأما عن شعره الذي وضعنا يدنا عليه، فأنَّ الناظر فيـه لـيرى أنَّ أكـثرَه في المـديح. وفي ممدوحه الأمير يعقوب بن يوسف الملقب بالمنصور(ت696هـ). ومن قوله يمدحه:

قضى حقـوقَ اللـــهِ في أعدائـهِ	ثــم أنثنــى والــنصرُ تحــتَ لوائــهِ
بحرٌ طما والنـاسُ مـن أمواجـهِ	صــبحٌ بــدا والحــقُّ مــن أضــوائهِ

ويصف في نص آخر بالشجاعة ويسبغ عليه مظـاهر المتعـة والقـوة والبـأس. وفي نـصٍ آخر يصف خيله بالعتاق والسرعة تلائم من يمتطيها. تشقُّ غبار الميدان، قوية، جسـورة، عـلى غرار فارسها، وما عُرفَ عنه من صفات وخصالٍ.

وليس المديح هو الغرض الشعري الوحيد الذي برز في شعر أبن مجبر الفهري أو أبـدع فيه.

فله شعرٌ في الوصف بأنواعه وأنماطه المختلفة. الطبيعية وغير الطبيعية. وله في الغـزل، بما يلائم مقام المتغزل بها وأحياناً يأتي الغزل في نصوصٍ بـذاتها وأحيانـاً في مقـدمات نصوصـه المدحية.

وله في الرثاء، نصَّه الذي رثى به القائد أبا عثمان بن عيسى، وكان الرثاء عند أبـن مجـبر بسيط الألفاظ، سهلَ المعاني، واقعيَ الصورة.

ومن الأغراض الشعرية المستحدثة، نظم أبـن مجـبر الفهـري في الشـيب ووصـفه تلـك المقطوعـة الخالـدة التـي أعجبـت الكثـيرين مـن أهـل الـتراجم، وأصـحاب الكتـب الأدبيـة والمختارات الشعرية، يقولُ واصفاً الشيب:

رحل الشبابُ وما سمعتُ بعـبرةٍ تجـري لمثـلِ فـراقِ ذاكَ الراحـلِ

قد كنتُ أزهى بالشبابِ ولمْ أخلْ أنَّ الشـبيبةَ كالخضـابِ الناصـلِ

ظـلٌّ صـغا ثـم زالَ بسرعـةٍ يـاويحَ مغـتراً بظـلٍّ زائـلِ

إنْ شـئتَ ظـلاً لايـزولُ بحالـةٍ فأعمـدْ إلى ظـلِّ الإمـامِ العـادلِ

وعن باقي أغراض أبن مجبر، فتوزعت في الصداقة، والنصح، بما يُفهـم المتلقـي بتجربـة معيشة من قبل الشاعر لظروف عصره، ومكانه، وأشخاصه. وما في هذه التجربة من محاسـن ومساوئ، من جيد أو رديء.

ولأبن مجبر مجموع شعري بتحقيق وجمع ودراسة الدكتور زكريا عناني، وله مجموع آخر انسلخ من هذا المجموع قام به الدكتور يوسف عيد. كتبـتُ عنـه في أحـد المـرات بحثـاً عن عملية النسخ والفسخ هـذه التـي قـام بهـا الـدكتور عيـد. وشـاركتُ بهـذا المكتـوب في

مؤتمر جامعة الانبار، لكليات العلوم الإنسانية في العراق. وتناولَ المكتوبُ ردَّ العلـمِ لصـاحبه، والجمع لناشرهِ بالأمور العلمية والخطـوات المنهجيـة، فضـلاً عـن مسـتدركٍ بسـيطٍ أتمنـى أنّي أنصفتُ به أبن مجبر وشعره، وعموم شعر أهل الأندلس....والسلام.

قيمةُ النص المحقق وأهميتُه.

لايمكن أنْ ننـذكر التطـور الهائـل الـذي وصـل إليـه اعلـم التحقيـق اليـوم، وفي القـرن المـنصرم. ولعـلً هـذا مـا يؤكـد قـول العلامـة وأسـتاذ التحقيـق والناقـد الـدكتور عـلي جـواد الطاهر(التحقيق أعلى مراتب التأليف).

وقد دخل مع تحقيق المخطوطات مفردات أخرى فيه أسهمت في تطوره وشهرته. مـن مثل جمع الشعر وتوثيقه للشـعراء الـذين فُقـدت دواويـنهم. وظهـور نقـد التحقيـق بشـكل ملفت للنظر إذْ أُلفت فيه الكتب الكثيرة والكبيرة أيضاً، واستوى اليوم علما بذاته، لـه أصـوله المعروفة، وقواعده الرئيسة التي يجب أنْ تُتبع. وكان للجهد العراقي باعٌ طويل في هذا العلم، ومؤلفات كثر تشهد لأصحابها بالعلم، والاطلاع، والبحث، والمتابعة للمنشـور، والصـادر في كـل مكان وزمان.

ومع هذه كله، وأكثر بقيت بعض النصوص المحققة لاتلبي الطموح ولاتشـبع الفضـول العلمي والبحثي الذي صدرت تلك النصوص المحققة من اجليهما. خذ مـثلا تحقيـق الـدكتور الاعرجي لديوان أبي حُكيمة ألسعيدي، إذْ هو بلا أهمية لما فيـه مـن خـدش للحيـاء والـذوق والأدب، ولو لم. ..لكان أفضل ياأُستاذنا المحقق الفاضل.

وتحقيق بعضهم لشعر الحجاج البغدادي ومافيه من مجون وخلاعة غـير خافيـة عـلى الجميع. وتحقيق كتاب قطب السرور في أنواع الخمور. والمبالغة في تحقيـق إعـراب لا الـه ألا اللـه. أو إخراج العشرات المكررة والسقيمة مـن كتـب وصـف القلـم والـدواة وهـي معـادة ومنقولة بعضها من بعض، مافيه من جديد إلا اسم مصنفها، واسم محققها!!!

وقل مثل ذلك الشيء الكثير. ومـن هنـا يجـب أنْ يكـون الـنص المحقـق ذا قيمـة علمية وبحثية ومنهجية مفيدة وجديدة، لكي يظهر إلى الناس، وإلا ترك مثل هذه الأعمال

والتحقيقات التي غالبا ما يكون تحقيقها رزيةً على ونكايةً على مخرجها المحقق والناشر عـلى حدٍّ سواء.

العصورُ المظلومة لا المظلمة.

ذكرني هذا العنوان بقصة قرأتها في مجلة (مجلتي) قبل سنين طوال. تلك القصة كانت تتحدث عن حكاية نساء ظلمنَ مع أزواجهن، ومن البداهة أن يكون الفارق كبيراً بين هذه العصور وأولئك النسوة !

هي عصور الأمة العربية بين العصر العباسي الذهبي وبين عصر النهضة الحديثة. هي تلك العصور التي تبدأ مع سقوط بغداد وتنتهي بالعصر الحديث. والمظلمة، والمتأخرة هي أسمها أو لقبها ولا أدري لمَ أطلق عليه، ولم توافق الجميع في وسمها بهذه السمة التي لا تستحقها ولا تمثلها إلا من الناحية السياسية والعسكرية فقط في الأمور العلمية والثقافية والفكرية، بقيت الأمة الإسلامية بخير وخير كثير في هذه العصور فقد ظهر فيها كبار علماء التاريخ والأدب واللغة والفلسفة وغيرها، وشهدت ظهور الكثير من المصنفات في هذه العلوم وفي غيرها. فقد عـُرف فيها ابن خلكان صاحب كتاب وفيات الأعيان، وظهر فيها ألصفدي العالم النحرير صاحب المصنفات الكبيرة والكثيرة التي زادت على المئة، وظهر فيها أيضا، أبو حيان النحوي، وابن خلدون، والسيوطي، وابن شاكر ألكتبي، وأبن مالك الأندلسي، وابن هشام الأنصاري، والقلقشندي، وحازم القرطاجني، ولسان الدين ابن الخطيب. . وغيرهم كثير، وكل هؤلاء من أهل التصنيف والتأليف، تشهد لهم بذلك مؤلفاتهم التي غطّت الآفاق، وانتشرت بين الأمصار، فحُققت ودُرست ونال بها المحققون والدارسون أعلى الشهادات العلمية وأجلّها، وإذا توجهت نحو الشعر والأدب فأقول: كيف هي عصور مظلمة وهي عصر صفي الدين الحلي، وشهاب الدين الموسوي، والشاب الظريف، وابن معتوق الموسوي، والصرصري، والبوصيري، وعبد الكريم القيسي الأندلسي، وابن فركون، وابن خاتمة الأنصاري. .

وغيرهم، وجميعهم من أصحاب الدواوين المحققة، وقد احتـوى شـعرهم الأغـراض الشـعرية المختلفة من غزل، ومدح، ومدح نبوي، ووصف، والشعر العربي، فضلاً عن شعر والاخوانيـات، والشعر الاجتماعي. فهل تكون مثل هذه العصور مظلمة أو متأخرة؟!

الشموخُ عند الشاعر العربي..المتنبي أنموذجاً.

لا يخفى على أحد من الدارسين والباحثين في ميدان الأدب العربي ما للشموخ من أثر في حياة هذا الأديب الكبير، والشاعر المتمكن.

وقد حاز المتنبي قديما وحديثا على هذا الأثر الكبير والمهم وعُرف فيه شعرا وشخصية. وقد استحق أبو الطيب الخلود والبقاء من خلال هذا الشموخ إلى قيام الساعة، كيف لا وهو الشاعر المفلق الذي لا يشق له غبار، ولن يأتي بمثله الزمان، وهو شاغل الدنيا، ومالئ المكتبات العقول والقلوب والألسن.

والشموخ ظاهرة ذات حدين (كما يقال) فمن جهة هي تنتاب شخصا لمكانته وأهميته، ومن ثمَّ قد يتولد عن هذه الجهة الغرور والكبر في النفس، والتعالي على الآخرين والتميز عليهم. ومن جهة أخرى، فأن هذه الظاهرة قد تزيد من عناية المبدع بإبداعه، وتجعله أكثر اهتماما وعناية بما يقول ويصنع ويبدع، ولعلّ هذا ما جاء كثيرا في شعر المتنبي فجعله شعره بالمكانة اللائقة والعناية المستحقة.

والمتنبي له حق في الشموخ ومن اقدر منه عليه وعلى ايجابياته المختلفة إلا أنّ شطحاته القولية ـ وهو ما لا يتعدى اللسان ـ وألفاظه التي عدت كفرا وإلحادا هو ما يعاب على بعض شعره من الناحية الدينية لا الأدبية ويعد مثلبة عليه عقيدة ومنهجا وفكرا.

وإذا عـُدت إلى شموخ المتنبي الأدبي فقد لا استطيع حتى التعليق على بعض الأبيات لزهوها البلاغي وبيانها وصنعتها الكلامية واللفظية الرائعة يقول المتنبي مثلا:

أنـا صـخرة الـوادي إذا مـا زوحمـتْ

وإذا نطقـــــــتُ فـــــأنني الجـــــوزاءُ

وإذا خفيــتُ عــلى الغبــي مغــادرٌ

أنْ لا تـــــــراني مقلـــــــةٌ عميـــــــاءُ

فنلحظ اثر الأمكنة الطبيعية بين الصلابة والفصاحة ونلحظ ايضا المفاخرة على الغبـي الذي يجد له العذر ومع الأعمى الـذي قـد يـراه مـن خـلال الألفـاظ ويحـس بـه وبشـموخه ولنستمر بهذا الشموخ العالي في مثل قول المتنبي:

فكم من جبالٍ جبتُ تشـهدُ إننـي أل

جبـــالُ وبحـــرٍ شـــاهدٍ إننـــي البحـــرُ

ولا شك في أنْ صورة الشموخ واضحة من خلال دلالات الجبل والبحر.

وإذا نظرنا إلى المكان المعادي ومظاهره في شعر المتنبي وجدنا ذلك الشـموخ المعهـود في شعره وتلك النفسية المتعالية بأدبها ونتاجها. يقول المتنبي:

كُـن أيهـا السـجنُ كيـفَ شـئتَ فقـد

وطـــــّنتُ للمـــــوتِ نفـــــسَ معـــــترفِ

لـــو كـــان ســـكناي فيـــك منقصـــةً

لم يكـــــن الـــــدرُّ ســـــاكنَ الصـــــدفِ

وله في المفاخرة مع الآخر أبيات وقصائد تشهد له بكل هذا الشموخ بذاته، واعتزازهـا بما تملك في مثل قوله:

مــا نــال اهــلُ الجاهليــة كلهــم

شــــعري ولا ســــمعت بســــحري بابــــلُ

وان أتتــك مــذمتي مــن نــاقصٍ

فهــــي الشــــهادةُ لي بــــأني كامــــلُ

ويقول أيضا:

اَيَّ محَــــلّ ارتقــــي اَيَّ عظــــيمٍ اتقــــي

وكــلّ ماقــد خلــق أل لــــهُ ومــــالم يخلُــــق

محتقــــرٌ في همتــــي كشــــعرةٍ في مفــــرقِ

كانت تلكم بعض النصوص التي برزت ظاهرة الشموخ عنـد المتنبـي، اعـترف فيهـا أني اعتمدت على ذائقتي في النقد والتحليل، وعلى المحفوظ في تلك الذائقة من شعر هذا الشاعر الكبير.

متمنياً أنْ ينال الموضوع مساحة اكبر في الدراسة وجهداً أعمـق في الـتقصي والتحليـل، يتنـاول هـذه الظـاهرة الواضـحة في شـعر المتنبـي وغـيره، وبروزهـا وخصائصـها الموضـوعية، ودلالاتها واتجاهاتها الأسلوبية والفنية.

تكرارُ الألفاظ ودلالاتُها في شعرِ المتنبي.

في الحقيقة اشعر بالخوف والرهبة في كل مرة أحاول فيها الكتابة عن شعر هذا الشاعر الكبير بشهرته العالمية أولا ، ولكثرة تداول شعره وقصة حياته على الألسن ثانيا ، وللدراسات الكثيرة التي تناولت هذه القصة وذلك الشاعر ثالثا. .. وما إلى ذلك.

والتكرار الذي أتحدث عنه في هذا المقال موضوع طويل وكبير، ومتداخل مع الجوانب الصوتية، والمظاهر التركيبية ومع المعاني والبنى النحوية. وطبعا في كل نوع من هذا التداخل له وظيفة معينة، ودلالة خاصة على نحو ما سأبين في بعض الشواهد من شعر المتنبي وكالاتي:

يقول المتنبي من قصيدة:

انَّ القتيـــــل مضرجـــــا بدموعـــــه

مثـــــل القتيـــــل مضرجـــــا بدمائـــــه

فالتكرار هنا بين الألفاظ (القتيل، المضرج) ومثل للتشبيه والباء في زيادة التركيب للقافية المكسورة جلب توحد بين الشطرين، وأبان عن كنه مشاعر المتنبي وهو القتيل بدموعه قبل ان يكون القتيل بدمه في ما بعد!

ويقول في الغزل من مقدمة قصيدة مدحية:

المنهبـــات قلوبنـــا وعقولنـــا وجنـــاتهن الناهبـــات الناهبـــا

الـنعمات القـاتلات المحييـات المبـــديات مـــن الـــدلال غرائبـــا

فالصيغ الصرفية وتكرارها وحشرها في مثل هذه الكمية ساعدت المتنبي في رسم صورة دقيقة وحقيقية لمشاعره أمام هؤلاء النساء، ومدا تعلقه بهن وحبه لهن، وهو الـذي لا يـرضى بذل، ولا يقبل بهوان من أي شخص مهما كان، وكيفما كان!

واذا جئنا إلى قصائد المدح في شعر المتنبي وجدنا ظاهرة التكرار الأبـرز بـين الظـواهر الصوتية واللفظية، وقد ادّت هذه الظاهرة الوظيفة الدلالية، والنحوية والصرفية التي جـاءت من اجلها في الابيات، واليك النماذج الشعرية الآتية لنبرهن على صحت ما نقول.

يقول المتنبي في معرض المديح:

اســـدٌ فرائســـها الاســـودُ يقودهـــا

اســـدٌ تصـــير لـــه الأســـود ثعالبـــا

ويقول ايضا يمدح بدر بن عمار:

إنمـا بـدر بـن عـمار سـحابٌ ... هطـــل فيـــه ثـــوابٌ وعقـــابٌ

إنمـا بـــدرٌ رزايـــا وعطـــايـــا ... ومنايـــا مطعـــانٌ وضـــرابُ

ويقول ايضا:

الحـــازم المـــيقظ الأغـــر العـــالم

الفطـــن الالـــد الأريحـــي الاروعـــا

الكاتـب اللبـق الخطيـب الواهـب

النـــدسَ اللبيـــب المـــبرزيّ المصفـــّعا

ويقول كذلك في مفارقة لفظية رائعة قوامها تكرار الألفاظ:

هـو الشـجاعُ يعـدّ البخـل مـن جـبنٍ

هـــو الجـــوادُ يعـــدّ الجـــبن مـــن بخـــلِ

وأحيانا يـأتي التكـرار لأثبـات موهبـة المتنبـي اللغويـة وتمكنـه مـن اللغـة وأحكامهـا، ودلالاتها وتراكيبها، كقوله وقد جمع كل أفعال الأمر في بيـت شـعري واحـد تـدل عـلى إكـرام الضيف والترحيب به:

أقلْ أنلْ أنّ صنْ احملْ علَّ سـل أعـدِ

زدْ هُـــشّ بـــشّ هـــب أغفـــرْأدنُ سُرّ صـــلِّ

ومثل ذلك قوله:

عشْ ابق اسم سُد جد مراءنه رف اس نُـل

غُظْ آرمْ صُبْ أحْم آعِنْ أسبْ دُعْ زعْ دُل اثنِ قُلِ

وأحيانا يأتي التكرار لإيجاد صفات بديلة ودلالات أُخرى عن الصفات والـدلالات التـي عُرفت، وتُعرف لما وضعت له، وما جاءت من اجله، كقوله:

وإذا نظـــرتَ إلى الجبـــال رأيتهـــا

فـــوقَ الســـهول عواســـلا وقواضـــبا

وإذا نظـــرت إلى الســـهول رأيتهـــا

تحـــــتَ الجبـــــال غواديـــــا وجنائيـــــا

ويأتي التكرار لإثبات ذات المتنبي، والتعريض بالآخرين الذين لا يعرفوه ويجهلون من يكون؟! فيأتي بالتكرار بجميع مفردات اللفظة التي يستخدمها في ردّ هذا الجاهل والنيل منه على شاكلة قوله:

ومن جاهلٍ بي وهو يجهلُ جهلَهُ ... ويجهلُ عليّ أنّهُ بي جاهلُ

وقوله عن نفسه في مقدمة غزلية لقصيدة مدحية:

قد كان يمنعهُ الحيا من البكا ... فاليوم يمنعه البكا أن يمنعا

فالتكرار ساعد المتنبي في البوح عن عفة مشاعره. وأبقى على شعره في موسيقى رتيبة، وألفاظ متناسقة ودلالات حلوة يعرفها القريب والبعيد، وهذا سر الخلود في شعره.

المفارقةُ الشعريةُ ونماذجُها

في شعر الأعمى التطيلي الأندلسي.

تدخل المفارقة الشعرية مع أغراض الشعر العربي كلها، ومع فنونه وميزاته الأسلوبية والفنية، والمفارقة مصطلح أدبي وبلاغي، لكنه ذو إشارات لغوية وزمنية ومكانية. وغير هذه العلوم التي تدخل في مضمار الأدب وتحسب عليه، ويُعدُّ أبناً لها، وإن كان عاقاً في بعض الأحايين.

والمفارقة تدخل في علوم البلاغة وأقسامها تداخلاً عجيباً، فهي تسعى لبيان المعاني الثواني والمقاصد الخفية التي تقف خلف المعاني الأُول والمقاصد الظاهرة. وهذا ما يكون في صلب علم المعاني وموضوعاته.

وكذلك تتمثل المفارقة في الاستعارة والتشبيه والكناية والمجاز - وهو - كما معروف - من ضمن علم البيان وظواهره.

والمفارقة تدخل في حسن التعليل والتورية وتأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه، وكل هذه الفنون وغيرها تدخل ضمن علم البديع وأقسامه.

ولا ننسى أن المفارقة تتطلَّب شاعراً مُجيداً لأساليب اللغة، واستعمال هذه العلوم وأقسامها وظواهرها وموضوعاتها، وكذلك لابدّ أن تكون حياة الشاعر نفسه عبارة عن مفارقة كبرى صنعتها الظروف المعيشة من رحلة اغتراب وقلَّة الرزق، أو العاهة كما عند الشاعر المكفوف وذوي العاهات، ومن هنا تكون المفارقة كبيرة ومتنوعة في شعره، وتكون بصياغة دلالية، ولغة أصيلة، وصور قشيبة يتطلبها الموقف ويرسمها الشاعر.

ولي في اختيار هذه النماذج في شعر الأعمى التطيلي أكثر من مبرر واحد، فضلاً عن الشروط التي أسلفت فيها القول، فهو شاعر كبير، وله قدرة عالية على استعمال اللغة وتراكيبها، كما انه شاعر مثقف له إطلاع واسع على الموروث الأدبي، والديني، والتاريخي العربي، والإسلامي، ومع ذلك كله فإن المقال هو جزء من بحث كبير أعده لدراسة باقي شعراء الأندلس في عصر الطوائف، وعنوانه الدقيق: (المفارقة الشعرية ودلالتها الموضوعية والفنية في الأندلس في عصر الطوائف).

تتجسَّد المفارقة الشعرية عند الأعمى التطيلي في مظاهر كثيرة، فهي تأتي مع اللغة بكثرة مفرطة، ولدراسة المفارقة مع اللغة أهمية كبيرة، فمع كونها تمثِّل عقلية الشاعر اللغوية وحسن استعمال اللغة وتراكيبها وألفاظها، فهي - اللغة - تؤدي الجرس الموسيقي والصوتي لشعره، وهي تكوِّن الخيال وترسم الصورة عن المجاز. .. وغير ذلك.

ومن أنواع المفارقات في شعر الأعمى التطيلي قوله على سبيل المثال لا الحصر:

إذا المرءُ لم يكسبْ سوى المالِ وحده   فـالأمَ مكسـوبٍ لألأمَ كـاسبِ

فالمفارقة لغوية وضحت في اللغة بين كسب ومشتقاتها، وزادت في الجرس الصوتي في الجناس وتكرار السين الصفيري الذي غايته رفع الصوت في البيت وكأنه يصرخ بما يريد، وتقديم النصح الشديد لمن حوى المال وداوم على كنزه وحرص على الدنيا أكثر من ايِّ شيء، وفي ايِّ شيء.

ومن المفارقات الأخرى التي وردت في شعر الأعمى التطيلي مفارقة الرفض للواقع المعيش، وهو واقعٌ مزرٍ لشاعرنا التطيلي من العاهة وقلة الرزق والغربة، وحتى الاغتراب بضياع الشعر في عصر الموحدين عصر الشاعر كما يصور ذلك في أبياته التي ستأتي لاحقاً في فقرات هذا المقال.

يقول التطيلي في مفارقة الرفض هذه، وهو في اشبيلية:

ومـاذا بحمـص مـن المضحكـات ... لـــــكنه ضـــــحكٌ كالبكـــــا

وقوله في رفض الشيب والسن، وهو ينظر من طرف خفـي إلى بيـت لـدعبل الخزاعـي كما نظر في البيت السابق لقول المتنبي في مصر:

بكت هندٌ من ضحك المشيب بمفرقي ... أمــا عــلمتْ أن الشــبابَ خضــابُ

وقوله في أهل بلده وقد عانى الاغتراب، وقلة حيلـة الشـعراء والأدبـاء في هـذا الـعصر، وضعف حضهم من المال والشهرة والغنى:

ومـا أخملـوني لكــن المجـدَ أخملـوا ... ومـا ضـيَّعوني لكــن العلـمَ ضـيَّعوا

وبـــين ضـــلوعي مـــا لـــو أن أقلَّـــه ... بأكنــاف رضــوى أوشــكتْ تتصــدَّعُ

فمثل هذه المفارقات التي تدل على الرفض وغيرهـا كثـيرة في شـعر الأعمـى التطـيلي، وهو يشبِّه حاله بحال المتنبي والمحن التي مرَّ بها الشاعر وعاش تحت قساوتها.

وزادت العاهة والغربة وظهـور الشـيب - وهـو دليـل العجـز والمـوت والسـقم - مـن هاتيك المحن على شاعرنا التطيلي وأبقت حياته في ضياع وشتات.

وهذه المفارقات كلها – كما رأيت أيها القارئ العزيز – كانت تتمثل في المكان والزمن واللغة والصور فضلاً عن الموروث الأدبي والشعري، وقد سخر التطيلي المفارقة في شعره بعناية تامة وعبَّر عنها التعبير المناسب، فالمفارقة كشف لمواقـف عـدَّة في مظـاهر أدبيـة، وفيزيائيـة، وتاريخية، ونفسية عدَّة.

وجاءت المفارقة في شعر التطيلي من خلال التضاد، وقد رُسمت في الحمام تلك الثيمة المكانية التي طالما جاءت في شعر الأندلسيين، واعتنوا بوصفها ورسم الصورة الحية لها. يقول التطيلي في حمام دخله:

يـــا حُســـنَ حمامنــــا وبهجتـــه مـــرأى مـــن الســحرِ كلـــه حســـنُ

مــــاءٌ ونــــارٌ حمامهــــا كنــــفٌ كالقلــــب فيـــه السرورُ والحـــزنُ

فالتضاد بين الماء والنار، والسرور والحزن رسم هذه المفارقة الحية في شعر التطيلي من خلال هذا المكان.

ومن المفارقات الأخرى التي جاءت في شعر التطيلي مفارقة الموقف، وغالباً ما تكون هذه المفارقة موهومة مصطنعة من الشاعر وخياله، ولكنها تقصُّ واقعاً خلف الخيال، وهو حالة الشاعر المزرية. يقول مثلاً في الهوى:

قالوا الهوى عيشةٌ ضنكٌ فقلتُ لهم لا خـيرَ في دعـةٍ لم يجنهـــا تعـبُ

والخمــرُ لــولا حميَّاهــا وسورتُهــا لم تغـرس الكـرم أو لم تـعصر العنـبُ

ويقول في طيف الخيال:

وليلــةً وافــاني وقــد نمــتُ نومــةً وكنــتُ أنــا والـنجمُ منهـا عـلى وعـدِ

وقد لاح لمـحٌ مـن الليـلِ في الدجــى كما لاحَ وسمُ الشيبِ في الشعرِ الجعـدِ

رأى أدمعــي حمــراً وشـيبي ناصـعاً وفـرط نحـولي وإصـفراراً عـلى خـدِّي

فــودَّ لـــو أني عقـــدُهُ ووشـــاحُهُ وإنْ لم يُطـقْ حمـلَ الوشـاحِ والعقـدِ

أَلمٌّ فأعـــداني ضـــناهُ وسهـــــدُهُ وقد كان هذا الشوقُ أولى بأن يُعـــدي

ووَلّى فـــلا تســـأل بحـــالي بعـــدَهُ ولكـــن سـلِ الأيـام عـن حالـهِ بعـدي

وقد تكون مفارقة الموقف حقيقية جاءت من واقع عاشه الشاعر وعرف ما فيه.

واهم مـا في ذلـك الواقـع عنـد التطـيلي ضـياع شـعره، وضـياع عمـوم الأدب في عصره وحلول الفقه بالمنزلة العليا والمرتبة الأسمى، وغالباً ما تكـون هـذه المفارقـات حزينـة مؤلمـة، وهنَّ عكس المفارقات اللاتي يكنَّ في التورية وحسن التعليل أو التشبيه الضمني وبعض فنـون البديع الأخرى، إذ غالباً ما تكون هذه المفارقات عقلية وغايتها الإمتـاع الأدبي والـذهني لـيس إلا. يقول التطيلي:

أيـا رحمتـا للشـعر أقـوت ربوعـه عـلى أنهـا للمكرمـاتِ مناســكُ

وللشـــعراءِ اليـــومَ ثُلَّـــتْ عروشـــهم فـلا الفخـرُ مختـالٌ ولا العـزَّ تامـكُ

ويـا قـام زيـدٌ اعـرضي أو تعـارضي فقـد حـالَ دون المنـى قـال مالـكُ

وإذا عدنا إلى العاهة وما فيها من مفارقات في شعر الأعمى التطيلي، فان التطيلي غالباً ما يدعو للنظر بالعقل لا بالعين المجرَّدة فقط، وهي ليسـت كـل شيء عنـد المـبصرين، وهـذا ناجم عن أشـياء كثـيرة منهـا التعـويض عـن حاسـة الـبصر المهمـة للإنسـان، والسـخرية بمـن يحكمون على الأمر بالعين فقط ولا يحكِّمون عقولهم وبصـيرتهم، ومنهـا - وهـذا شيٌء يخـصُّ التطيلي وحده - اللوم والتقريع لمن لا ينظر إلى الدنيا إلا النظرة المادية وما فيهـا مـن أمـوال وثروات، وأن يكون المرء عبداً ذليلاً لهذه الأموال. يقول التطيلي في نماذج من هذه المفارقات:

والنـــاسُ كالنـــاسِ إلا أن تجربهـــم | وللبصـــيرةِ حكـــمٌ لـــيس للـــبصرِ
كالأيـــك مشـــتبهاتٌ في منابتهـــا | إنمـــا يقـــعُ التفضـــيلُ بـــالثمرِ

ويقول:

وانظـرْ بعينيـكَ أو بقلبـكَ هـل تـرى   إلا صريعـــاً أو مـــالَ صريـــعِ

ويقول:

لا تغـــترْ بعيـــونٍ ينظـــرونَ بهـــا   فإنمـــا هـــي أحـــداقٌ وأجفـــانُ

فـــانظرْ بعينـــك إن العـــينَ كاذبـــةٌ   واســـمعْ بحســـكَ إن الســـمعَ خـــوَّانُ

و لا تقـلْ كـلُّ ذو عـينٍ لـــه نظـرٌ   إنَّ الرعـاةَ تـرى مـا لا يـرى الضـانُ

ومن المفارقات التـي أتـت في شـعر الأعمـى التطـيلي الأنـدلسي كسر المتوقَّـع أو كسر المألوف. وهي تجمع بين الحقيقة العلمية، وبين التعليل الأدبي اللطيف لهذه الحقيقـة، ومـن هذا النوع من المفارقات قول التطيلي يهنئ صاحب مرض شفي منه:

لا تســـتربْ مـــن ذا النحـــولِ فإنَّـــهُ   صـــدأٌ اصـــابَ الصـــارمَ المصـــقولا

فالبـــدرُ يُكســـفُ في علـــو مكانـــهِ   والوعـــكُ يـــدخلُ الهزبـــرَ الغيـــلا

وقوله في الدنيا ومن تهافت عليها:

تنـافسَ النـاسُ في الـدنيا وقـد علمـوا   أن ســـوف تقـــتلهم لـــذَّاتُهمْ بـــددا

قُـلْ للمحـدِّثِ عـن لقـمان أو لبـدٍ   لمْ يـــتركْ الـــدهرُ لقمانـــاً ولا لبـــدا

وللـــذي همَّـــه البنيـــانُ يرفعُـــهُ   إنَّ الـردى لم يغـادرْ في الشرى أسـدا

مـــا لابـــنِ آدم لا تفنـــى مطالِبُـــهُ   يرجو غـداً وعسى أن لا يعـيشَ غـدا

هذه المفارقات وغيرها كانت في شعر التطيلي، وجاءت على نحو واضح ومفهوم من اللغة والصورة وفنون البلاغة فضلا عن المكان والزمان واستنطاق الموروث - بأنواعه - وهناك مفارقات كثيرة ستكون في الدراسة والاستشهاد مع البحث المشار إليه آنفاً.

في الختام أتمنى أن يكون هذا الموضوع ذا سعة ونظر من قبل الباحثين والدارسين للأدب العربي، فهناك الكثير من الشعراء بحاجة لدراسة المفارقة لديهم من النواحي الأدبية والنقدية والفلسفية والنفسية، كما دُرس شعر المتنبي، وأبي ماضي، وجيل الرواد في الشعر العراقي الحديث وغيرهم.

سامي مكي العاني..ذكرياتٌ في زمن الرحيل.

هذه أول مرة اشعر بالخوف مما اكتب، والقلق فيما اختار من ألفاظ أجدها حارة مرتبكة وهي تنتظم وتصطف لتعبر عن علم آخر رحل عنا إلى غير رجعة.

والخروج بتلك الألفاظ إلى الناس أحسن من أن تبقى قابعة خلف النفس، فالبوح بها قد يخفف عمق المأساة وكبير الفاجعة التي حلّت بي، ونزلت بأهل التراث ومحبيه وأصحابه.

لقد كانت تلك الجلسات في قاعة الدرس وفي بيته كفيلة بان تضعني أمام جبل كبير طالما حلمت بالوقوف أمامه، وتأملت كيف أصبح، وكيف صار، وكيف بلغ إلى هذا الشموخ والرسوخ بفضل ذلك العطاء الدائم، والنتاج المستمر مع نضجٍ واعٍ، ومسؤولية كبيرة، وأمانة ثقيلة قلَّ من يحملها في زمنه (رحمه الله تعالى).

هذه العبارات هي التي ستطلق على أستاذي الدكتور سامي مكي العاني في ذكرى رحيله، فلعلَّها تسمح لي أن أبوح بكل ما أريد، وليلمني اللوَّمُ بعد ذلك لأني اعتقد أني رميت عن كاهلي حملاً ثقيلاً، وعدتُ على نفسي بالمنفعة وأسباب العافية.

ثلاث حكايات اقتطفها من بستان الحياة، ومزرعة العلم لأقدمها إليك أيها القارئ، واليكم أيها المثقفون أتمنى أن فيها بعض الوفاء، وما سأقوله كفاية.

الحكاية الأولى: (في التراث وعمق الأمانة).

هو محقق ومصنف في قواعد التحقيق له آراؤه التي لا يمكن لمحقق أن يتغافل عنها، أو يتجاوزها شهد بذلك كبار أهل هذه الصنعة، واثنوا على علمه، وخبرته في هذا الشأن، فله منا كثير الاحترام، وكبير التقدير.

وله نظرته الخاصة في النص الذي يحققه، وله خطواته الأصلية، والشخصية التي يتسم بها وهو يخرج النص تلو النص، والديوان خلف الديوان، ولعلَّ أهم تلك الخطوات الشرح الكبير الذي يقدمه لصاحب المخطوط، أو الشاعر الذي يجمع شعره، والكلام الطويل عن المظان التي تُعنى بصاحب المخطوط، أو بالشاعر.

واذكر في هذا الشأن حديثه عن ديوان كعب بن مالك الأنصاري الذي حققه، ونال شهادة الماجستير، إذ قال إنه تكلم بأكثر من عشرين صحيفة عن سيرة ابن هشام، وكيف يورد الشعر؟ ولماذا؟ والى غير ذلك من هذه العنوانات، إذ هو المصدر الأول والأهم الذي أورد شعر كعب، و استشهد به.

ومن تحقيقاته الأخرى التي عُرفت عند أهل الأدب والفكر: دمية القصر، والأخبار الموفقيات، وديوان عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، وأشعار النساء للمرزباني مع الأستاذ هلال ناجي، وشعر تاج الدين زيد بن الحسن الكندي معه أيضاً .. والى غير ذلك.

ولم يقتصر في حبه للتراث على تحقيقه ونشره فقط، وإنما كتب فيه الدراسات المميزة التي بقيت إلى الآن مصدراً مهماً من مصادر دراسة الأدب العربي لطلبته وأساتذته ومحبيه، ومن هذه الدراسات: دراسات في الأدب الإسلامي، دراسات في الأدب الأندلسي، نظرات في شعر صدر الإسلام، والإسلام والشعر، وهذا الأخير يُعدُّ من أهم كتبه المؤلَّفة، وأكثرها قيمة ونفاسة.

ومع التحقيق والتأليف برع فقيدنا (يرحمه الله) بكتب الفهارس وصنع الببلوغرافيات التي تختص بالشعراء على وجه الخصوص، فجمع في كتاب ألقاب الشعراء من الجاهلية حتى نهاية العصر العباسي، وجمع التراث الشعري المطبوع في كتاب آخر، فكانا من القيمة العلمية والمنهجية التي أشاد بها الكثير،وتغنَّى بفضلها الجميع.

أعود لأصل الحكاية ومضمونها، وهو الحديث عـن عمـق الأمانـة في العمـل البحثـي، والسؤال الدائم عن كل ما يتعلَّق بما يريد أن يكتب عنه، وفي هذا الشـأن سـأروي لكـم هـذه الحكاية التي حكاها لي في إحدى جلساتي معه في بيته.

قال: حصلت على نسـخ خطيـة فريـدة وأصـلية مـن كتـاب: حـروب الـردة للواقـدي، والواقدي هو من هو في التاريخ والتدوين، ولكن - والكلام له رحمة اللــه عليـه - لم اطـمأن إنّها للواقدي، ثم عثرت على نسخة أُخرى من الكتاب نفسه، وبالعنوان نفسه لكنهـا مـن دون ذكر اسم المصنِّف، فانتابني الشـك، ورحـتُ أطـوي لـيلي بنهـاري لأتوصـل إلى الحقيقـة، ومـا أفلحت، وحملت النسختين إلى الدكتور صـالح احمـد العـلي، وصـوَّرت نمـاذج منهـا وأرسـلتها للدكتور عبد العزيز الدوري - رحمهما اللـه- لأتأكد من نسبتها للواقدي، فأجاباني بعـد مـدة أن الكتاب يحمل أسلوب الواقدي فعلاً، ولكنه ليس لـه في الحقيقـة ؛ لأن الواقـدي لم يُصـنِّف كتاباً بهذا الاسم، ولم يُذكر في باقي كتبه المخطوطة والمطبوعة أنه ألَّف في حروب الـردة كتابـاً أو رسالة، فأحجمت عن تحقيق المخطـوط وتركتـه، وعلمـت أنـه صـدر بعـد سـنين بتحقيـق محقق باكستاني، ولم اندم على تركه وعدم تحقيقه.

هذا الكلام وهو أستاذ كبير، ومحقق، ومؤلف، وببلوغرافي. إن الأمانة هـي مـن تجعـل الناس بمثل هذه الأخلاق النفيسة، والآداب الجميلة كان كذلك حتى كنت أقول له وأنا احمل إليه كل عدد من المورد أن فلاناً حقق النص الفلاني، والآخـر جمـع شـعر فـلان، والثالـث نشر ديوان فلان، وهو يضحك ويُعجب، ويُثني على هذه الجهـود، ويقـول: هـذا الجيـل لـيس لنـا ذهب جيلنا، ولنفسح المجال أمامكم، فكونوا على قدر الأمانة والمسؤولية كما كنا.

الحكاية الثانية: (في قاعة الدرس والمناقشة).

طوال تدريسه لنا، وطول معرفتي به لم اسمعه يذكر أحداً بسوء، أو يشتم أحداً، أو يهجو أحداً حتى عندما ذكَّرته بما كتب يرد على احمد خان وقد انتقد تحقيقه للدمية، قال: كان الرد علمياً ومنهجياً، واتفق معي كبار أساتذة العراق، ومحققيه، وحتى خارجه، ومع ذلك كله فقد أحسستُ بالندم، وشعرتُ بالأسى إذ قد يكون كلام الدكتور خان صحيحاً، أو سيكون صحيحاً، فاشعر بالذنب مرتين. الأولى: لأني لم أعمل بخطوات التحقيق الصحيحة، أو القريبة من الصحيحة التي اقترحها خان، والأخرى: النقد الذي سيكون غير حقيقي، وغير صحيح، ومدى الانتقاد الذي سأناله بعد الرد على الملاحظ الصحيحة التي أبان عنها المحقق خان، وسعى لأن تكون خطوات تحقيقي لكتاب الدمية، ومن أساسيات المنهج الذي حُقِّق به الكتاب.

هكذا كان من الخلق والتواضع، وفي قاعة الدرس كان يسمع الكثير من الملاحظ التي كانت تدور ونحن نتحاور في علم التحقيق في الفصل الدراسي الأول، وعلم نقد التحقيق في الفصل الدراسي الثاني، فكان يسمع منا، ويطالبنا بالجديد من الكتب المحققة التي تصدر لأول مرة، ولاسيما من الدواوين والمجموعات الشعرية، وكان يعترف بفضلنا، ويثني على متابعتنا، ويدعو لنا بالمزيد من التوفيق، والسداد، والإصابة.

في قاعة المناقشة كانت له حكايات أخرى بسرد المعلومة ن وتوثيق النص، وهو مع كبر سنه، وكثرة مشاغله كان يقرأ الرسالة أو الأطروحة قراءة علمية فاحصة دقيقة ليفيد الطالب من الملاحظ التي سيذيعها عليه، ويطلب من الحاضرين الاستماع له وللمناقشين معه علَّهم يحظون بالفائدة العلمية والمنهجية التي يريدها لهم، وكان يُعرِّف بالمظان المحققة تحقيقاً جيداً، ويطالب بالرجوع لها، ويعدُّ عدم الرجوع إليها خيانة للعلم، وغمطاً لجهود المحقق والمصنِّف على السواء.

إنه يستمع إلى الطالب بروح عفوية سماتها الجدة، والتركيز، وثبات الرأي. إنه كذلك مع كل مناقشة، فكان – مع خصائصه الكثيرة – ثابت الموقف، أُحادي الرأي، قابلاً للنقاش النافع، سعيداً بطلبته، أو بزملائي الجدد كما كان يقول (رحمه الله).

الحكاية الثالثة: (وفاءٌ في زمن الرحيل).

رحل الدكتور سامي مكي العاني في هذا العام الذي شهد رحيل قمم أُخرى من أهل اللغة العربية وعلمائها مثل: الدكتور نعمة رحيم العزاوي، والدكتور محمد شهاب العاني، ففقدنا بفقدهم قمم شامخة وكبيرة أثرت العلم وأهله في التحقيق، والتأليف، والتدريس.

ومع هذه القمم هناك أسماء أخرى انطوت، وكتبت عنها، وآمل ألاّ ننساها، وكيف يكون ذلك وهي من الشأن العظيم، والمنزلة الكبيرة، والمكانة السامية في تاريخ الأدب العربي، وعشق الضاد، وتعليمه إنها تحمل قنديلاً تُضيء به درب الأجيال القادمة التي تمشي بخطى وئيدة، ومتعثرة، وبخوف صامت من القادم عكس ما كانت تلك الأسماء التي طالما حلموا بلقائها، وسعدوا بمؤلَّفاتها، وآثارها، ويتمنون لو يكونون مثلهم وعلى نهجهم. اذكر من هذه الأسماء التي يقول فيها زميل لي – في الجامعة -: إني أخاف من ذكرها، وأوجل من سماعها: الدكتور يونس السامرائي، والدكتور محمود الجادر، والأستاذ هلال ناجي، والدكتور رشيد العبيدي، والدكتور هاشم طه شلاش، والدكتور محمود جاسم الدرويش، والدكتور عناد غزوان، والدكتور جلال الخياط، والدكتور رزوق فرج رزوق، والشيخ محمد حسن آل ياسين، فلحظت كبير الفقد، وعظم الرزء في مثل هؤلاء. .. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

اكتب عنك اليوم يا أستاذي وشيخي وفاءً لذكراك، وأداءً لزكاة العلم المفروضة، فإنك تستحق وتستحق.

اكتب عنك اليوم وفاءً لأيام، وساعات حلوة، ومفيدة قضيتها معك وأنت أمامي بكبر شأنك، وتواضعك، وكبير فضلك على العلم، والأدب، ولطافتك، وبعظيم منزلتك، ومكانتك، مع رشاقة لفظك، ولطيف عبارتك، وجميل أسلوبك في الحديث، والتدريس، والنقاش.

اذكر عندما كتبت عنه استدراكاً، وتعقيباً، وتتمة للشعر الأندلسي في كتابه: (معجم التراث الشعري المطبوع)، وأخبرته به، فقال: ومن أنا لأخاصمك، أو أُقاطعك. اكتب ما تشاء، وأتمنى أن يكون في الكتاب كله لا في تخصصك فقط وهو الشعر الأندلسي، فانظر إلى عظيم تواضعه، ولينه حتى في النقد عليه، والاستدراك على ما كتب، وألَّف، وحقَّق، وصنَّف.

اكتب اليوم، وقد ظن الحمقى أني نسيت الوفاء لأهل الفضل علي، وأني أقف على قمة النكران لمن درَّسني، وأمتعني علمه، وفضله أكتب إليهم فأقول: فلنكن على قدر الأمانة، وعلى قدر المسؤولية، ولنكف عن ذكر الآخرين وتجريحهم، وأن نفكر بما يفيد الناس، ويديم علاقتنا معهم من خلال النتاج، والنشر، فهذا هو المطلوب من كل باحث، وما تُبنى عليه آمال الأمة الإسلامية، وما يحقق تطلعاتها في النهضة، والشموخ، والعظمة.

في سبيل البحث..جزءٌ

من سير شخصية، وآثارٌ علمية.

أذكر أول مرة زُرتُ فيها الأستاذ هلال ناجي في ربيع 1998م في بيته العامر في بغداد الحبيبة. ولكم كانت تلك الزيارة عظيمةً، ولكم كان أثرها في نفسي وأنا في حضرته- يرحمه الله تعالى- وهو يمثل هذه الروح العلمية، وهذا التواضع الجم، وهذا النتاج العلمي والأدبي الثر.

وتكررتْ الزيارات اليه، وتعرفتُ فيه- بيته- على كوكبةٍ رائعةٍ وكبيرةٍ من العلماء والمفكرين، والمحققين، والباحثين، من أمثال الدكتور صباح نوري المرزوك، والدكتور حميد مجيد الهدو، والدكتور عباس هاني الجراخ، والأستاذ مهدي عبد الحسين النجم، والأستاذ حسن عريبي ألخالدي...وغيرهم. وكان في كلِّ مرةٍ يحدثنا عن معاناته في تحقيق المخطوط الفلاني، وجمع شعر الشاعر الفلاني، وأنه أمضى أكثر من عقدٍ من الزمن ليصدر تحقيق(حدائق الأنوار وبدائع الأشعار)، مثلها ليخرج مخطوطة ألصفدي القيمة (الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه)، وعلى هذه الشاكلة كنت استمع بعناية وحذر لما يقول، وأعجب لما يحدث بعد ذلك من مناقشات وردود وتلاقح أفكار تصبُّ في صالح العمل المحقق، أو المجموع، وتخدم مؤلفه.

ومع الأستاذ خلف رشيد نعمان، كانت لي وقفة أُخرى مع جهد باحث عراقي كبير فذٍّ ومتمكنٍ ومحققٍ، ومؤلفٍ، ومصنفٍ، ومفهرسٍ. تميزت هذه الوقفة التي طالت بالتميز، والإبداع، والأصالة، وكيف لاتكون كذلك، وقد أمضى في نشر كتابه المحقق(النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام)، لابن المستوفي أكثر من ثلاثين عاما، ولما

يصدر كاملا إلى يومنا هذا والى ساعة كتابة هذه السطور. وامضي من عمره الغالي أكثر من خمس سنين عجاف بالمرض، والشيخوخة، وخوف الفاقة البغيضة ليخرج لنا(الموضح في شعر المتنبي)، للتبريزي في أجزائه الخمسة. فلكم كان هذا الجهد عظيما في نظر الباحثين والدارسين والمحققين. ولكم كان الصبر عليه كبيرا، ليخرج إلى الناس بطبعته الكاملة التامة. ولعلنا نرى يوما (النظام...)، في مثل هذا الإكمال، والإتمام.

وقصَّ لي الأستاذ الدكتور صباح نوري المرزوك قصته الطويلة الممتعة في سبيل إكمال وجمع مادة كتابه (معجم المؤلفين والكتاب العراقيين) في أجزائه الثمانية، وهو يسال ويبحث ويزور المكتبات والشخصيات المختلفة التي تركت آثارها العلمية المنشورة والمطبوعة، في الاختصاصات المختلفة، والعلوم العدة.كانت سنوات مضيئة تلك التي حواها كتابه وهو يعنى بالنتاج العراقي المنشور وغير المنشور من 1970الى 2000، وسيكمل هذا الجهد في القريب العاجل بإذن الله تعالى، ومن الله التوفيق.

وان شئت أن اتكل عن مثل هذه الجهود المضنية في سبيل البحث العلمي الأصيل، والنشر البحثي المرموق، فسأتكلم عن جهود الدكتورالجادر، والدكتور عباس هاني الجراخ، والدكتور عبد الهادي خضير نيشان...وغيرهم كثير، وكثير جدا والحمد لله والشكر له وحده على هذه النعمة التي يفقدها الكثيرون، ويحتاج لمثلها الباقون في أرجاء المعمورة على الرغم من أمكانتهم التي لاتوصف، وقابلياتهم المادية المهولة.

أعود لمعرفة شخصية أخرى ارتبطت معها وبها كثيرا، وأشدتُ بها في بعض البحوث والكتب. تلكم الشخصية هو الأستاذ حسن عريبي ألخالدي. من بعيد يهمس بك صوته، وتبدو لك نظارته التي أتعبها كثرة الرفع والوضع من عينيه واليهما، أو يهوي بها على منضدته التي تناثرت عليها الأوراق، والبطاقات الكثيرة التي تعنى بهذه الشخصية أو تلك، بذلك الموضوع او غيره، بهذا العالم أو غيره. أمضى الأخ ألخالدي

أكثر من خمسين عاما في كتابه(الذخيرة التراثية)، وقد صدر الجزء الأول من هذا العلق النفيس فقط، على حد علمي المتواضع المحدود، ويأمل جميعنا بإكمال باقي الأجزاء التي لا ادري إلى أين ستصل رقما وعددا ومنهجا وعلما...

وهنا يجب أن أوجه الكلمة الناصحة والتي هي غاية هذا المقال ومبتغاه، وهي أن يكون مثل هؤلاء هم القدوة الحسنة، والمثال الطيب، والأنموذج المحتذى في سبيل الصبر على العلم والبحث، ونشره. ولنعمل في سبيل البحث الجاد بكل ما لدينا من قابليات وإمكانيات بشرية ومادية ومالية.

وان نبتعد عن الباحثين المزيفين الذين يبحثون عمن يكتب لهم البحث بمبلغٍ معينٍ، كما وجد من كتب له الدكتوراه، أو الماجستير، فهناك من هؤلاء ومن المكاتب التي بدأت تنتشر في بلدنا وللأسف الشيء الكبير والمعيب. ولا أريد أن أزيد لعدم تشويه الأصيل من أعمالنا ومن أسماء باحثينا لأنهم أكثر من اؤلئك بكثير، ومن الله الحمد.

المصدرُ المفقودُ أو تفاهاتُ البحوث الجامعية.

كنت سعيداً وفرحاً حين أصدرت جامعتنا الموقرة مجلة علمية محكمة في اختصاصات اللغة والأدب لكثرة الباحثين والدارسين في هذين المجالين من جهة، ولسعة الموضوعات فيهما من جهة أخرى، وللزخم الكبير الذي كان يقع على المجلة الأم من جهة ثالثة... وغير ذلك من ألأسباب.

وفي كل عددٍ يصدر من هذه المجلة الغرَّاء، كنت أسارع للحصول عليه - ولو بالإعارة - أفهرس بحوثه المنشورة، وأوثق أسماء باحثي تلك البحوث، وأضع بعض الملاحظ المنهجية والعلمية على ذلك البحث وكاتبه في سبيل ألارتقاء بالبحوث، والوصول إلى أبعد غاية فيها من الدقة والأمانة والجدَّة والأصالة.

وفي العدد الثالث من هذه المجلة الذي صدر نهاية العام المنصرم نشرت فيه أدب أبن عاصم الغرناطي - ألأديب والمصنف والشاعر- وحصلت على نسخة منه وعشت معه أياماً وليالي من الفهرسة، والقراءة، والتعليق والنقد، وكثر النقد وطال لأحد هذه البحوث وهو(وصف الناعور في الشعر ألأندلسي) للدكتور سلام عبد فياض - مدرس ألأدب ألأندلسي - في كلية التربية للبنات في جامعة الأنبار، حتى وصل إلى مقال بكامله، وهو هذا الذي تراه أيها القارئ الحبيب.

جاء الدكتور سلام بعنوان قد يقرب إلى المنهج البحثي قليلاً وهو وصف الناعور، ولا أعرف وقد قرأت بحثه مراراً وتكراراً وناقشت بعض الزملاء من أهل الاختصاص فيه - في كليتنا وفي غيرها - فلم نجد قيمة الوصف أوماهيته، أو أنواعه أو الفائدة فيه، أو حتى التعريف به غرضاً، أو لوحةً مع ألأغراض ألأخرى، وكيف جاء هذا

الوصف للناعور عند الشاعر الأندلسي في قصيدة أو لوحة، أو مقطوعة أو نتفة، وما المسوغات والدوافع التي قيلت في هذا الوصف، وكيف؟ ولماذا؟

لا تتواجد في البحث أي مفردات منهجية أو حتى تقسيمات علمية، لا هناك الدراسة الموضوعية، ولا السمات الفنية أو المرتكزات الأسلوبية، وهي كثيرة في شعر الأندلس، أو في شعر الأندلس الوصفي، ولاسيما للطبيعة الأندلسية المعيشة التي أوسع فيها الباحث الحديث بلا فائدة بحثية، أو منفعة للقارئ.

بدأ البحث بشكل جغرافي أو تاريخي أكثر من كونه بحثاً يتعلق بالشعر ومقوماته الفنية، وميزاته الإبداعية، فالنواعير في اللغة والاصطلاح، والناعور بين الأندلس والمشرق، والناعور في الأدب... هذي مفردات البحث كله. ولا أدري أين أصالة الشعر الأندلسي في وصف الناعور، وأين نضع هذا الوصف من المكان الطبيعي عند الشاعر الأندلسي،وأين مهمة البحث في إبراز جوانب الفن والخيال عند الشاعر الأندلسي وهو يستخدم هذه الثيمة المكانية في شعره بشكل ملفت للنظر.

وحتى في عنوانات بحث الدكتور سلام – مارة الذكر – جانبت الموضوعية المطلوبة تماماً عند الباحثين والدارسين للشعر الأندلسي، فأين دلالات المكان وأثرها في وصف الناعور، وأين الزمن وتشكيلاته في وصف الناعور، وهي كثيرة، وذات دلالات عدة، موضوعية وفنية ونفسية، وأين البنى التركيبية، وأنواع الصور الشعرية لهذا الوصف، وأين...؟ وأين...؟ وأين...؟

وانتهى البحث – إذا آمنَّا انه بحث !- بمجموع شعري خاص لوصف الناعور في الشعر الأندلسي، وإليك الملاحظ على هذا المجموع الشعري العجيب:

1- هذه أول مرة أسمع بجمع شعري عربي عن غرض معين، وعن غرض جزئي داخل غرض اكبر وللباحث- ولا غبار في كلامي هذا- فضل السبق في ذلك !

2- جاء المجموع بدون ترتيب زمني مرة يأتي النص لشاعر أندلسي من عصر الخلافة، وتارة يأتي لشاعر أندلسي من عصر الموحدين، وثالثة لشاعر أندلسي من عصر المربطين، وهكذا وبدون عناية من الباحث، وكأنه لم يقرأ مجموعاً شعرياً- واحداً- أو يعرف مناهج الجمع في ذلك. وإذا التمسنا له العذر في الترتيب بحسب القوافي، وهذا ما حصل فعلاً في بحث ألأخ الفاضل، فقد ضيعنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

3- على الرغم من أن البحث حمل عنوان (وصف الناعور في الشعر ألأندلسي)، إلا أن أغلب المجموع الشعري الملحق بالبحث كان عن وصف الدولاب والدواليب، و نادراً ما ذكر الناعور والنواعير. وكان على الباحث الكريم في الدراسة أن يفرق بينهما من اللغة و الاصطلاح، وأن يتحدث عن الدواليب وماهيتها وكيف ميزها الشاعر ألأندلسي، واستخدمها في شعره ألأصيل، وأحسن استخدامها.

4- يأتي في المجموع الشعري الملحق شعر ليس للشعراء ألأندلسيين، مثل مقطعات ظافر الحداد، إذ هو شاعر عباسي، وله ديوان مطبوع، ومسألة ورود شعره في كتاب السحر و الشعر لابن الخطيب لا يعني أنه شعر أندلسي.

5- ما الفائدة من الملحق الشعري، إذ كان لدينا شعر الرصافي مطبوعاً محققاً في أكثر من طبعة واحدة، وكذلك ديوان ابن الابار، وشعر ابن هذيل، وشعر الرمادي فدواوينهم، متوافرة، فلا فائدة للمجموع لهذه الدواوين والمجموعات أبداً أبداً. ..

6- يأتي الدكتور سلام بالعجيب الغريب في هذا المجموع، فالشعراء الذين بحاجة للتعريف بهم لا يعرف بهم، والشعراء المشهورون يعرف بهم ويذكر مصادر ترجمتهم!

7- لا حاجة للإحالة على مصدر قديم إذا كان الديوان محققاً، أو للشاعر مجموعاً متداولاً وهذا ما حدث للدكتور الباحث مرتين في ديوان ابن هذيل، وشعر ابن عسكر المالقي، فديوان ابن هذيل محقق ومعروف لأكثر من محقق للدكتور احمد حاجم، وللدكتور احمد عبد القادر صلاحية، وللدكتور محمد علي شوابكة، وللدكتور حمدي منصور الذي اعتمد عليه المحقق، فلا مدعاة للرجوع إلى كتاب التشبيهات مع تخريجات الديوان.

وفي شعر أبن عسكر فلا حاجة للرجوع إلى كتاب أدباء مالقة، بعدما جمعته وصنفته ونشرت في بغداد، والإمارات وفي كتاب (ثلاث شعراء أندلسيون)، وهذه ألأمور علمية مهمة تقلل من أهمية أي بحث، وتجرح في أمانة أي باحث.

في نهاية البحث أصل إلى ثبت المظان، وقد أخل الباحث بكثير من المظان التي كانت سترفع من قيمت البحث وأهميته وتصل به نحو الأصالة. وقد سقط من هذه القائمة كتابي (المكان في الشعر الأندلسي) المطبوع في القاهرة، وعمان، وكنت أتمنى من الباحث العودة، وضمَّه لهذه القائمة من مصادر ومراجع بحثه، وهو في المكتبة المركزية في جامعة الأنبار، وعند الزملاء، والأساتذة، وكان يهمني أن يسأل عنه الباحث، وأن يعود إليه إذ هو المصدر المفقود في الدراسة والإحالة وثبت المظان، ويستفد من نصوصه الشعرية في وصف الدولاب في الأندلس ويستدرك على ما فاته من نصوص شعرية ومصادر. .. وغيرها.

وإلى هنا قد أكون أطلت ولو اتسع المكان لنشرت عليه عشرات المستدركات من النصوص والمصادر، ومفردات البحث، وأتمنى للباحث التوفيق في قابل أعماله، ودراسته وأن يكون أكثر روية ودقة لما يكتب فهو باحث جيد يملك مقومات البحث وشرائطه الأساسية، وعليه الجد، في عنوانات بحوثه القادمة، وأنا مستعد للوقوف بجنبه لما يريد،

وكيف يريد، سائلاً المولى القدير أن يجعله في خدمة اللغة العربية وأدبها لما فيه خير الجميع من باحثين ودارسين وطلبة.

والى المجلة الغراء أرجو أن تكون البحوث أكثر رصانة وأصالة وأن نفكر في النشر وأسماء الخبراء أكثر من مرة واحدة وفي أكثر من وقفة كي لا تأتي مثل هذه البحوث في الأعداد القادمة من المجلة فتفتح الباب الواسع أمام الناقدين وأقلامهم. قد تأتي منها رياح سافية لا تبقي على الجهد المبذول مهما كان ولنتذكر حكمة المتنبي الشهيرة:

ولم أرَ في عيوب الناس شيئاً   كنقصِ القادرينَ على التمامِ

المتاهاتُ.... وشعرُ المشهداني الجديد.

الدكتور خالد احمد المشهداني شخصية علمية أدبية مرموقة. يمتاز بسمات كثيرة هي سمات العلماء والأدباء من أهل هذه اللغة رأيت مثلها - السمات - عند كبار الأساتذة الذين تتلمذت على أيديهم وعرفتهم في مسيرتي العلمية الجامعية من أمثال: الأستاذ الدكتور محمود عبد الله الجادر - رحمه الله - والأستاذ الدكتور سامي مكي العاني، والأستاذ الدكتور ناظم رشيد، والأستاذ الدكتور محمد مجيد السعيد، والأستاذ الدكتور صباح نوري المرزوك. .. وغيرهم كثير، وكثيرٌ جداً والحمد لله.

أصدر المشهداني أكثر من كتاب واحد في مشوار علمي طويل حافل بالنتاج داخل العراق وخارجه، واهتم بعلم التحقيق الذي اخرج لنا أكثر من نصٍّ فيه: كتاب الكنز في القراءات العشر، للواسطي، والمجيد في إعجاز القرآن المجيد، للزملكاني، ومفردة قراءة ابن كثير المكي، للموصلي، وبعض المخطوطات المحققة التي ضمَّنها كتابه: مخطوطات محققة في اللغة والنحو.

ومع النصوص المحققة هناك الكتب المؤلفة ولاسيما دراسته الرائدة عن المزهر للسيوطي، وكتابه القيم: الأصول الفصحى للهجات العربية الدارجة، وهو أشبه بمعجم بسيط، ومعاصر لهذه الأصول بحسب تلك اللهجات.

ويمتاز تحقيق الدكتور خالد المشهداني بوفرة الهوامش. وكثرة العودة إلى المظان المختصة، وتخريج أقوال العلماء ولاسيما النحاة، من أكثر من مصدر واحد، وبوضعه دراسة جيدة عن المصنّف وعن آثاره، وعن التأكد من نسبة المخطوط لصاحبه. مع ملاحظي على بعض هذه التحقيقات انها لم تضع صور للوحات حيَّة من المخطوطات،

وقصَّرت ببعض الفهارس الفنية المهمة التي كان يجب ان تتكامل وتوضع مع كل نصٍّ محققٍ، وفي نهايته طبعاً.

وأما عن منهجه في التأليف، فينماز بدقة اختيار العناوين، وتشعبها مع علوم اللغة الأخرى من غير اللغة النحو، ولاسيما البلاغة والدلالة والتعبير القرآني.

وعن شعره - الذي سأخص به الحديث في هذا المقال -، فقد جمعه في ديوانه الأخير الذي حمل عنوان: (متاهات لا مرئية)، وهي - المتاهات - كثيرة حملت بعضها شكوى الزمان، وجاء بعضها ليتحدَّث عن الغربة ولوعتها، وعن المكان ومكائده في البعض. ..

في متاهة المكان جاء الحديث في اغلب شعره عن المكان الطبيعي، وكان هذا المكان ذا دلالة مفتوحة، بل؛ ومتشعبة استدعت كثيراً من الظواهر الطبيعية ليصبَّ في خدمة الغرض الرئيس. لنستمع لقوله من قصيدته (ملاحة في مركب الحياة):

أنـــا المـــلاحُ فـــي المركـــبْ   وأبحـــــرُ لا كمـــــا أرغـــبْ

عُتـــــوُّ اليـــــمِّ يقـــــذفني   فـــلا منجـــى ولا مهـــربْ

....

طمـــوحُ الكـــونِ في روحـــي   فلـــن أُقهـــر أو أغلـــبْ

فـــمن أمـــواج دَأمـــائي   أصـــوغُ العـــزمَ لي مـــذهبْ

ومـــن اريـــاحِ إبحـــاري   سأبقـــى ساخـــراً ألعـــبْ

ويقول في قصيدته (المتاهة الخامسة):

أمواجُ البحرِ تدغدغُ قلبي

فتضحكُ كل الحيتانِ السوداءْ

يرميني قمرُ الكونِ بنظراتٍ حمقى

فيشعُّ النورُ بحبٍّ أعمى

ونجومُ البحرِ تغوصُ.. .. تغوصْ

فتشربُ كل لآلى السماءْ

وأنا في كوخي عطشانْ

أرقبُ بعيون حيرى.

وقد تمثل معجمه الشعري للمكان بالاستخدام المفرط للبيت، والصومعة، والبحر، والسفينة، والموج، والسماء.. وغير ذلك، وهذا المعجم المكاني يعطي متاهات كثيرة للمتلقي يحاول فكَّها بدلالاتها الكثر.

عن متاهة الزمن حملت بعض القصائد هذه المتاهة في مسافة تزيد وتقصر بين الشاعر والمتلقي. يقول في قصيدته (تنهدات محظورة):

في ليلةٍ مظلمةٍ ضيَّعها الزمانْ

وغرفةٍ نائيةٍ ندت عن المكانْ

رأيتُ ضبَّاطاً لهم هولٌ وهيلمانْ

بكفِّ كل واحدٍ سيفٌ وصولجانْ

مقنعين بالمعلقاتِ والنقائضْ

وتستمر هذه القصيدة لتحكي لنا زمن سيبويه والخليل والأصمعي والجاحظ والفرَّاء، وكيف ضيعناهم، وكيف أصبح الشاعر، وهو ينتمي إليهم علماً وأدباً في زمن لا يعرفهم ولا يريد أنْ يعرفهم، وكيف ضيَّع الأحفاد تراث الأجداد، وكيف كان ذاك الزمان. وكيف كان زمن الشاعر.

ويقول هذا الزمن وهذه الدنيا مثل هذا الكلام شعراً في قصيدته (ليل الآهات):

ما أبشعَ ليل الآهاتْ

ما عدتُ أديباً في دنيا. ..

تستعذبُ سبل الرعشاتْ.

وعن متاهة الغربة، فاغلب شعر المشهداني يتحدَّث عنها، وقد تأتي مع أنماط المكان، ودلالات الزمان، وقد تكون في قصائد مستقلة كقصيدته (هجير الغربة)، وقصيدته (زلزال العصر الحجري)، وغربة الشاعر المشهداني قاسية وعنيفة كما تُبين عن ذلك كثير من قصائده، ولعل أسبابها كثيرة ومفرطة لدى شاعر في بلد كالعراق، وما عاناه هذا البلد من مصائب ومآسي ولاسيما على المبدع الأديب، والشاعر اللبيب.

وغربة الشاعر المشهداني في متاهة كبيرة، ولاسيما المتاهة العلمية إذ يقول في إحدى قصائده:

واستوردتْ ألسننا رطانةً من خارج الحدودْ

لم نستطع جهالة. . أنْ نعرف النثرَ من القصيدْ

لم ندرِ ما (البيان) و (التبيين ْ)

أو (أدب الكاتب) أو (دلائل الإعجازْ).

إننا سعداء بضم هذا الديوان إلى دواوين الأساتذة الجامعيين في العراق، وأتمنى أن يوسع النقاد ودارسي الشعر الحديث الدراسة عنه من جوانب الصورة الفنية، والبنى التركيبية، وثقافة الشاعر من شعره، ففيه جوانب كثيرة من هذه المسميات وغيرها تحتاج لوقفة طويلة اكبر من هذه وأعمق، والله الموفق.

هلال ناجي...ذكرياتٌ وإنجازات.

كان أول لقاء لي معه شهر نيسان من عام 1998عندما أرسلني إليه أستاذي المشرف على رسالتي آنذاك الدكتور إنقاذ عطا الله العاني ولما رايته فرض علي احترامه الشديد ونال مني كل الاهتمام والمحبة والتقدير. تواضعه أهم شيء فيه وعلمه اكبر شيء في شخصه. كان كل مرة يسأل عني وعن زملائي وتواصلهم مع كتابة اطاريحهم ورسائلهم. تكررت الزيارات مع أخوتي طلبة العلم وكان يطلق علينا الأبناء الروحيين محبة وإجلالا وكان ذلك يسعدنا ويشرفنا.

اصدرالاستاذ هلال ناجي (يرحمه الله) أكثر من مائة وخمسين عنوانا بين النص المحقق والكتاب المؤلف وديوان الشعر، ومن أهم كتبه المستدرك على صناع الدواوين بمجلدين كبيرين وتحقيقه لكتاب جيش التوشيح للسان الدين بن الخطيب وهو أهم كتب الموشحات في الأدب العربي وأصعبها وتحقيقه لمتخير الألفاظ لابن فارس والأنيس في غرر التجنيس للثعالبي ومن تحقيقه للدواوين الشعرية اصدر شعر الراعي النميري والبلنوبي الصقلي وشعر الببغاء وشعر أبي هفان والناشئ الأكبر وغيرها.

والأستاذ هلال شاعر مرموق وقد نظم أكثر من ديوان شعري واحد خلال مسيرة حياته الطويلة، وقد أجيزت رسالة ماجستير في كلية التربية في الجامعة المستنصرية بعنوان شعر (هلال ناجي دراسة موضوعية فنية)، وتميز شعر الأستاذ هلال بالصور الموحية والألفاظ السلسة المأنوسة وقد نظم في اغلب الإغراض التقليدية للشعر العربي مثل المديح والرثاء والغزل وله في الشعر القضائي الذي قاله في أروقة المحاكم، فهو محام كبير ناجح ومتميز وله شعر في الذكريات الكثيرة التي شاهدها في حياته وهو يسافر في البلدان من بلد إلى آخر، فيشارك بمؤتمر هنا ويلبي دعوة هناك.

برع الأستاذ هلال ناجي في التحقيق وشهر به وقد نال لقب شيخ المحققين أكثر من مرة، ومن قبل جميع المحققين داخل العراق وخارجه ولم يتميز تحقيق الشيخ هلال بعلم دون غيره إنما كان موسوعيا جدا في تحقيق النصوص التراثية للعلوم الإنسانية المختلفة مثل المعاجم ودواوين الشعر العربي وكتب المختارات الأدبية وكتب التراجم والطبقات الأدبية وكتب الفلسفة والدين والتاريخ

ويتميز تحقيق الأستاذ ناجي بالدقة المتناهية في إخراج المخطوط والتمرس بقراءتها والتأني من نسبة النص لصاحبة والتوسع في دراسة صاحب المخطوطة وكثرة التخريجات والتعليقات والشروح والإتقان في صنع الفهارس وقد استعان بالأخ المفهرس حسن عريبي ألخالدي الذي وضع آخر الفهارس لآخر كتبه المحققة إيغالا منه في الإتقان وإفحاما في الفائدة والمنفعة

كان الأستاذ الشيخ هلال ناجي وفيا لأصحابه وأترابه من محققي النص التراثي العربي والمصنفين والمؤلفين فكان كثيرا ما يذكرهم في جلساتهم الأدبية والثقافية التي كانت تقام في بيته ويهدي إليهم كتبه بل ويكتب عنهم يشيد بعلمهم ويدون آثارهم ويثني على أخلاقهم وعلمهم وأعمالهم فقد كتب عن الدكتور خليل العطية وعن صديقه الروحي الدكتور نوري حمودي القيسي والأستاذ محمد بهجت الأثري وعن الأستاذ المحقق والمفهرس كوركيس عواد.... وغيرهم كثير.

ومن سمات الفقيد هلال ناجي (رحمه الله) المعونة لكل طالب علم وطالبة مهما كان وأينما كان في العراق واذكر حين طلبت منه ديوان ابن شكيل احد شعراء الأندلس في عصر الموحدين لم يعرفه أو سمع به فطلب مني آن اذكر له مكان النشر وسنته فأخبرته بما يريد فأرسل في حاجة له وهاتفني وذهبت إليه بعد احتلال بغداد في نهاية سنة 2003

إلى الحلة وقد رحل من بغداد إليها لظروف بغداد العصيبة التي كانت تمر بها واستغرقت زيارتي له ربع ساعة فقط صورت فيها الديوان واعدته إليه شاكر وموقرا.

وقد أثنيت عليه في مقدمة كتابي المستدرك على صناع الدواوين والمجموعات الشعرية الأندلسية كثيرا ولم أكن أول من كتب عنه وعن جهوده في الاستدراك على الدواوين إذ كتبت الدكتورة ضمياء محمد عباس بحثا قيما في هذا الشأن كان بعنوان هلال ناجي ومنهجه في الاستدراك على الدواوين زودته بقائمة ببلوغرافيا فيها أكثر من واحد وأربعين مستدركا على دواوين الشعر العربي باختلاف عصورها وأزمانها وأماكنها كتب في الأستاذ هلال ناجي كتابا تذكاريا حمل مشاعر أخوته وطلبته وزملائه في كل مكان داخل العراق وخارجه ويؤسفني ويؤلمني أنّ هناك من سعى لتعكير صفو العلاقة المحترمة التي كانت تربطني به فاتصلت به وبينت له ما أريد من كلامي أو من بعض البحوث التي نشرتها واستدرك عليها من أعماله وأرسل لي ما أريد من كتب مهداة ومن كتب احتاج إليها في بحوثي ومقالاتي فكان على سيرته المحمودة وأخلاقه العالية وأفضاله الكريمة التي ندرت عند الكثيرين فرحمه الله تعالى عالما وأديبا ومحققا وإنسانا فاضلا وشيخا وقورا.

زواهرُ أبن المرابط أثرٌ أندلسيٌّ أصيل.

الحقيقة أهملت هذا الكتاب الذي وصل إلي من ناشره مكتبة الملك عبد العزيز آل سعود في المملكة العربية السعودية على سبيل التبادل والإهداء.

وقد صدر الكتاب في نهاية سنة 1997 عن المكتبة المذكورة بتحقيق ودراسة الدكتور حسين محمود فليفل، وهو- الكتاب - في أصله أطروحة دكتوراه قدمت من قبل المحقق إلى إحدى جامعات اسبانيا المرموقة، ونال بها الدرجة العلمية بتقدير محترم. ومع هذه السنوات الطويلة التي مرت على صدوره، وجدت ان أكثر دارسي ومحققي الأدب الأندلسي لا يعرفون هذا الكتاب، ولما يسمعوا به، أو يعرفوا شيئا عنه فأحببت أنْ أتكلم عنه ببعض السطور معرفا واصفا ومبينا اثر هذا الكتاب الأصيل ومدى أهميته في الدراسات الأدبية الأندلسية.

الكتاب لأبن المرابط ألأشبيلي (ت633هـ) في مرسية. وهو أديب ومصنف ومن عائلة أدبية أخرجت أكثر من علم أدبي وإخباري كما جاءت في مظان ترجمة هذا العلم وكما تحدث محقق الكتاب عنه وعن عائلته.

احتجن كتاب زواهر الفكر وجواهر الفقر- بكسر الفائين- مادة أدبية واسعة لشعراء عصر الموحدين وأدبائه وقد جاءت المادة الأدبية النثرية فيه مميزة وكبيرة ولاسيما في المراسلات والمجاوبات والمراجعات بين شعراء وأدباء هذا العصر وهم كثر.

ولم يقتصر الأمر على النثر بل كان الشعر الأندلسي احد مواد الكتاب ومصادره المهمة ولاسيما لشعراء عصر الموحدين وقد رجع إليه الدكتور منجد مصطفى بهجت- أستاذ الأدب الأندلسي في جامعة الموصل وماليزيا – وهو يجمع شعر ابن الجنان

ألأنصاري ألأندلسي- شاعر المديح النبوي في عصر الموحدين- وجمع أكثر شعر ابن الجنان من هذا المصدر أيام كان مخطوطا.

وكان أهم موضوعات وأغراض هذا الشعر يصب في المديح والاخوانيات والرثاء ومنه رثاء آل البيت وبكاء الحسين(عليه السلام) ورثاء المدن وكذلك هناك الوصف والغزل والحنين والشكوى....وغيرها.

وأما أهم شعراء هذه ألأغراض في الكتاب فهم ابن الأبار وابن الجنان وحازم القرطاجني وأبو عميرة احمد بن عميرة المخزومي وغيرهم فضلا عن شعراء المشرق من أمثال أبو تمام والمتنبي وأبو الفرج ابن الجوزي....وغيرهم.

وعن خصائص النثر وميزاته في كتاب ابن المربط فقد كانت الرسائل الإخوانية هي المتصدرة لهذا النثر في النوع والشكل وقد كانت ذات موضوعات كثيرة منها:

الثناء والمودة الوصايا الشفاعة التهاني والتعازي العتاب والهجاء.

وفضلا عن أنواع الرسائل ألأدبية الأخرى كالرسائل الديوانية والرسائل والخطب الدينية.

وبعد أتمنى أنْ يحظى هذا الكتاب بدراسة مستقلة تتناول فيه جوانب الإبداع والابتكار والإصابة لجهد أندلسي متميز وان يعنى جميع الباحثين في الأدب الأندلسي بنصوصه الإبداعية ولاسيما النثرية منها وهي تستحق الدراسة لما فيها من تراكيب محكمة وصور فنية مبتكرة وأمثال وآيات قرآنية كريمات وأحاديث شريفه فضلا عن التضمين بالشعر والتخميس.

كذلك أتمنى أنْ يكون هذا الكتاب ضيفا موقرا في ثبت مظان الباحثين في ألأدب الأندلسي ولاسيما في عصر الموحدين ذلك العصر البهي من عصور الأندلس الذي شهد

ولادة الكثير من مبدعي الأدب الأندلسي وشعرائه ومنهم ابـن المـرابط صـاحب هـذا الكتـاب النفيس وهو يخرجه لنا على هذه الصورة من التكامل والدراسة والفهرسة.

ولا أنسى ناشره ومعونته في إيصـال الكتـاب المطبـوع للجميـع وهـو أدب علـماء قـل نظيره في الزمن الحاضر وندرت صورته إلا على محبي العلم وناشريه والـلـه من وراء القصد...

الافتتاحيةُ... عناوينُ الكتب المؤلفة؟!

واللـــه كنـتُ سـعيداً بكتـاب اشـتراه لي أحـد الـزملاء وحمـل ذلـك الكتـاب العنـوان الآتي(المكتبة الأندلسـية)، لمؤلفـه الـدكتور الفـلاني...وبشَّرتُ الجميـع مـن أهـل الأختصـاص في الأدب الأندلسي وتاريخه، وهذه خصلةٌ فطرني اللـــه عليهـا أن أقـوم بـنشر الكتـاب والـترويج لصدوره.والخصلة الأخرى التي يعرفها الجميـع أيضـاً كـثرة المُـزاح والتسـلية حتـى في أصـعب الأوقات وأحرجها.

والكتاب أو عنوانه فقط أخذ مني من الهزل والضحك الشيء الكبـير، ولاابـالي أنْ قلـت ما أخذه مني وقت اقتنائه أو الحصول عليه وتصوروا المفارقة!!

لم يكـن الكتـاب- أنْ اتفقنـا عـلى تسـميته كتابـاً- ، إلاّ فُـوضى بحثيـة ومنهجيـة بكـل المقاييس العلمية والمنهجية والطباعية، بـل ومخـزاة العمـل البحثـي العراقـي. والأخ المؤلـف خريج إحدى الجامعات الغربية، والاسبانية تحديداً، فلا الكتب الأدبية ولا الـدواوين ولاكتـب التاريخ الأندلسي التـي هـي مـن اختصـاص المؤلـف شـكلت 1بـــ% مـن المنشـور أو المطبـوع المتداول بين الباحثين والدارسين في هذا الأدب العظيم، أو تاريخه التليد المجيد!

ولك يا من تسمعني أنْ تتصور الموازنة بين عنوان الكتاب وبين الجهد الذي فيه، وعليه العوض؟

ويأتي عنوان آخر(لغة الإعراب وتعلم قواعد اللغة والأدب)، تصوروا كم سيكون حجمه ومن كم جـزءٍ سـيتألف وهـو في مثـل هـذا العنوان؟؟؟انـه وهـو تمـامي الآن لايتجـاوز المائـة صحيفة..وما فيه ألاّ أسماء النجوم والكواكب والشهور والأيام. ..وعليك الموازنـة بـين العنـوان وبين مافيه ولا ادري ماذا القول ولاحول ولا قوة إلاّ باللــه تعالى!

وخُـذ عـلى هـذه الشـاكلة الكثـير مـن العنوانـات في النقـد الأدبي، والاجـتماع، والفلسفة...والكثير متندمٌ آسفٌ على شراء الكثير من الكتـب التـي اشـتراها بسـبب العنـوان وتمنى لو لم تكن في مكتبته أو من بين مقتنياته...

إنها محنةٌ أخرى أُبتلي بها منهج التأليف والنشر والإشهار موازنة بما كان عليـه أسـلافنا وما كتبوا وما نشروا ومن اللـه العافية من مثل هذا اللغط والتبجح باسم العلم.ومـن اللـه العافية.

صورةُ الدرهم في نماذج من الشعر العربي.

شغلتني هذه الصورة البديعة من شعرنا العربي، وبهرني وصف الشاعر العربي لها، وتمثله فيها في إبداعات صوره الخالدة، فأحببت أن أُذيعها بين كما هي نصَّاً موشَّحاً بكلمات تبيان وشرح بما للشاعر العربي علينا من فضل، وبما لنصِّه علينا من سحر وإبداع وبراعة.

يقول عنترة بن شداد في وصف روضة، وأُعجب به - الوصف - الأصمعي أيما إعجاب:

جادت عليه كلّ عين ثرَّة	فتركن كلّ حديقة كالدرهمِ
فترى الذباب يغني وحده	هزجاً كفعلِ الشارب المترنمِ
غرداً يحك ذراعهُ بذراعهِ	فعل المكبِّ على الزناد الاجذمِ

الأفعال، والمفاعيل المطلقة، والتشبيهات هي التي أبدعت هذه المقطوعة في دقة الرسم، وشمولية الرؤية، وهي التي جذبت أليها نظر الأصمعي وإعجابه.

ويقول المتنبي في مدح سيف الدولة الحمداني في معركة قادها على جبل الاحيدب:

نثرتهُمُ فوق الاحيدب نثرةً	كما نُثِرت فوق العروس الدراهمُ

إن الصورة التي رسمها المتنبي توحي بالكثرة المفرطة لقتلى الأعداء فوق هذا المكان العالي، ولعلَّ صيغة الجمع التي جاءت عليها "الدراهم" تزيد في تلك الكثرة وتغني السامع والمتلقي عن تخيلها أو التفكير فيها، فهي حقيقة معيشة لبسالة الممدوح وقوته وبأسه.

أما الرصافي البلنسي - من شعراء الأندلس في عصر الموحدين - فينظر إلى الدرهم نظرته النقدية، وقيمته التداولية المشهورة بين الناس، ولكنها في صورة شعرية قلَّ نظيرها وجمعها كما جاء في قوله:

صون الفتى وجهه أوفى لهمَّته | والرزقُ جارٍ على حدٍّ ومقدارِ

قنعتُ وامتدَّ مالي فالسماءُ يدي | وبدرُها درهمي والشمسُ ديناري

لعلَّ النجوم والأقمار التي جاءت في البيت الثاني تغني المتلقي عن عظيم قناعة الرصافي وشدَّة رضاه برزقه وبما قسمه الله له، وهي قناعة يحتاجها كل مسلم بل وكل إنسان يعيش على هذه الأرض.

تلك بعض الصور التي علقت في الذاكرة قامت على رسم الدرهم وقيمته، وبما هو معروف عنه، ولو كان الموضع موضع إطالة لأطلت.

المكانُ في النص الأدبي

بين آليات التنظير، ودلالات الاستعمال.

فرض المكان (بأنواعه وأنماطه ودلالاتـه) سـطوة واضـحة عـلى الدراسـات الجامعيـة في الحقب الأخيرة من القرن الماضي وبدء هـذا القـرن. ولم يكـن الـنص الأدبي(الشـعري، والنـثري، والروائي)، وقبلهم النص القرآني الكريم، ببعيدٍ عن هـذه الأنمـاط والأنـواع والـدلالان للمكـان، ولاميته الفلسفية والفسلجية والنفسية المختلفة باختلاف الأشخاص والأحداث.

وأما هذه الكثرة من الدراسات تنوعت آليات التنظير للمكان(المدروس) بحسب الـنص أولاً وبحسب مؤثرات الإبداع التي تلقي بظلالها على مبدعه ومنشئه ثانيا.

ومثلما تعددت هذه الآليات التي تهتمُّ بالمكان وتشكيلاته عـلى مسـاحة الـنص الأدبي مثلما تعـددت دلالاتـه إذْ إنَّ كـل خاصـية ونـوع تمثـل دلالـة مزدوجـة أو يكـوِّن أنماطاً مـن الدلالات التي يتيحها النص الشعري الحديث.

وفي هذا المقال سنوضحُ أهم تلك الآليات التي أوجدها الباحثون وأهـم دلالاتهـا التـي كشف عنها النص الشعري ووضحها واسهم في جعلها مادة حقيقيـة ملموسـة في ذلـك الـنص، بعد إنْ كانت تنظيرا فكريا في علوم أخرى كالفلسفة والاجتماع والتاريخ...وغيرها.

فمن آليات التنظير للمكان، تقسيم الناقد ياسين النصير لأنـواع المكـان في الـنص الأدبي لقسمين رئيسين. هما:

1.**المكان الموضوعي:**وتتخلص خصائصه في أنَّه يبنـي تكويناتـه مـن الحيـاة الاجتماعيـة المعيشة.

2.**المكان المفترض:**وهو أبن المخيلة البحتة الذي تؤلف أجزاؤه على وفق منظور مفترض وقد يستمدُّ بعض خصائصه من الواقع إلاَّ انه غير محدد.

وأمَّـا عـن دلالات اسـتعمال هـاتين الآليتـين فيمكننـا القـول- باطمئنـان- إنَّ المكـان الموضوعي يمثل الأمكنة الاجتماعية التي ترد كثيراً في شعر الشعراء والتي غالباً ما تتـوزعُ نحـو الآتي:

أ.أمكنة اجتماعية خاصة. وتشملُ: أماكن السكن، كالدار، والبيت، والمنزل...وغيرها.

ب.أمكنة اجتماعية عامة.وتشملُ:أماكن الأعياد، والمناسبات الوطنية والدينية...وغيرها.

ج.أمكنة اجتماعية بين الخاص والعام.وشملتْ:أماكن الحرفيين وأصحاب المهن، وأماكن الضيافة، ودور علية القوم...وغيرها.

وأمـا عـن دلالات المكـان المفـترض فـما أوسـع دلالاتـه وأكثرهـا إذْ هوالمكـان المفضـل استخداما ففيه الحبيب وفيه الممدوح مهـما كـان وأيـنما كـان!وهـو الجالـب لقصـص طيـف الخيال وذكر أخبار العشّاق أهل الغرام...ولاشكَّ في أنَّ مثـل هـذه الأمكنـة لم تغـب عـن بـال الشعر الجاهلي وشعره منذ العصر الجاهلي، فأوسع في ذكر هذه الأمكنـة الخياليـة واسـتخدم دلالاتها في الخير والشر، في الفأل والنحس...

ومن آليات التنظير الأخرى للمكان، تقسيم بروب لهذه الآليات إذْ جعل المكـان الـذي أعتنى بدراسته. فكان تقسيمه إلى:

1.**المكان الأصل:**ويمثلُ مسقطُ رأس المؤلف، أو محل أقامته.

2.**المكان الوقتي أو العرضي**:وهو المكان الذي يتبلور فيه الاختبار ألترشيحي المؤهل للمكان المركزي.

3.**المكان المركزي**:وهو المكان الذي يحصل فيه الأختبار المركزي.

وعن دلالة هذه الآليات فيمكن القول إنها جميعاً تمثلُ دلالة الإقامة والمواطنة للمكان الأم(البيت والمدينة والإقليم) إذْ فيه يعبرُ الشاعر عن سعادته وأحزانه وفيه يقصُّ علينا الأحداث التي عاصرها، ويذكرنا بأيامه التي عاشها في صباه عند رحيله عنه حاملا كل تلك الأسباب المفرحة أو المحزنة في آنٍ واحدٍ.

وأظنُّ تجربة الشاعر الأندلسي تمثلُ هذه الدلالات وتعدُّ بحقٍّ الأطر المنتجة لهذه الآليات إذْ إنَّ في شعر الغربة بأنواعها والحنين بإشكاله، وفي شعره إرهاصات المكان الجديد وأزمات المكان القديم.

ومن آليات التنظير للمكان التي أُنتجت عن دراسات ما يجمع بين أقسام عدة عن طريق الثنائيات.ومنها:

1.ثنائية المكان الأليف والمكان المُعادي.

2.ثنائية المكان العالي والمكان المنخفض.

3.ثنائية المكان التاريخي والمكان الآني.

4.ثنائية المكان المغلق والمكان والمفتوح.

5.ثنائية المكان الساكن والمكان المتحرك.

وكل هذي الباليات لها نصوصٌ أدبيةٌ ولاسيما النصوص الشعرية كشفت عن أسرار النفس الشاعرة التي تقف خلف النص، شرحت انفعالاتها وعرفت بمكامن الضعف لديها.وأمَّا عن دلالات مثل هذه الآليات فلا ريب في أنها ستكون كثيرة ومتنوعة. فالمكان الأليف تتمثل دلالاته المكانيين الاجتماعي والطبيعي وما ينتج عنهما.

أما المكان المعادي فربما تكون دلالات الألفاظ التي تعنى بالمكان الضيق من مثل القبر، ومرادفاته كالجدث والرمس واللحد.والسجون والمعتقلات والمنافي...وغيرها هذه الأمكنة.

ومن دلالات هذا المكان الأخرى، الغربة، ورثاء المدن والممالك وزوالها...وهلم جراً.

وعن دلالات المكانيين التاريخي والآني. فالمكان التاريخي يكمن في الأمكنة الحربية، وأماكن المعارك، وأماكن الاستنجاد والاستغاثة، والاستصراخ التي ظهرت في الأمم المنكوبة ولاسيما تلك الأمم التي تلت سقوط بغداد وما حدث بعدها.

وكذلك دلالات المكان الأسطوري الديني للمكان، والمكان الأسطوري الأدبي. وفي النوعين كليهما فان الدراسات لاتكفُّ عن أكتشاف المزيد من الدلالات لهذين المكانين فضلاً عن دلالاتهما المعروفة، والتي لاتحتاج منا لشره أو تعليق.

وآما عن المكان الآني فتكمن دلالته في المكان المعادي أحياناً، ونادراً ما تكون تلك الدلالة في المكان الطبيعي أو المكان الأليف أو المكان الأمل وما إلى هناك...

وهناك الدلالات المزدوجة وهي كثيرة، وأكثر من أن تذكر ومن اللـه الإصابة..

شاعرُنا العربي الحديثُ

بين ذاكرة الأمس وثقافة اليوم.

لا ينضبُّ التراث العربي وسيظل معينا صافياً، ومنهلاً عـذباً للشـعراء العـرب في عصرنـا الحديث والمعيش على اختلاف مشاربهم، وتوجهاتهم، وقومياتهم. ..وهلم جرَّاً، وهـذا الـتراث شاملٌ بدقة: المضامين الدينية وتفرعاتهـا الدقيقـة، وملابسـاتها المختلفـة وهـو شـاملٌ لأسـماء القبائل والشخصـيات، واسـتدعاء الأيـام والوقـائع والأمثـال ودلالاتهـا الاجتماعيـة والشـعبية، وكذلك التضمين الأدبي والمعارضات، أفيترك هذا كله ليقـال كفانـا هـذا التقليـد وتلـك الحيـاة البدائية، وذلك القيد الخطير على إبداعنا وفكرنا وواقعنا.

لا يمكن للشاعر الحديث - العربي وغيره- الاعتماد على الـذاكرة وعـلى دلالات الواقـع المعيش لكونها – الذاكرة – المصدر الأساس والاهم، ولا مدعاة من الـتراث، بـل ولا حاجـة لنـا به!

لقد جنى كثير من الدارسين والنقاد والباحثين – اليوم -، وبلا ذكر أسماء عـلى الـتراث، وعدُّوه بمثابة القيد على إبداع الشاعر الحديث، والرتابة الفضَّة التي يجب السير عليهـا. علـماً أن هذه النظرة لا يمكن أن نعكسها دراسة وشرحـاً وتـأويلاً وتطبيقـاً عـلى ايٍّ شـاعر عـربي في العصر الحديث، ولا سيما الشاعر العراقي.

وللبرهنة على كلامنا هذا دُرس النص – تداخل النصـوص – بأشـكاله في الشـعر العراقي الحديث بمختلف عصوره ومراحلـه، ودَرس باحـث المـوروث في شـعر يوسـف الصائغ، ودُرست المضامين التراثية في الشعر العراقـي الحـديث والمعـاصر، وأثـر الـدين والتراث في الشعر العراقي مـن 1990-2000م، فضـلاً عـن عشرات البحـوث والمقـالات

التي بيَّنت وجهة التراث وأثره في الشاعر العراقي الحديث وشعره. كلّ هذا وغيره لتأتي الدكتورة بشرى موسى صالح – ناقدة العراق الأولى في سنة من السنوات ! لتقول: ما التراث؟ وماذا قدَّمه السابقون لنا؟! إننا في صحوة ثقافية، وإبداع نقدي جديد فلا حاجة لنا للتقهقر إلى الوراء أو العودة إلى الخلف؟!

ولعل أقلامكم وأفكاركم كفيلة بأن تضع هذا الكلام نصب أعينها وهي تكتب أو تفكر أو تتحدَّث، وما هكذا تورد الإبل أيتها الناقدة، وليست هذه هي البشرى يا بشرى !

ورحلَ الدكتور محمود عبد اللـه الجادر.

على الرغم من أنّي كتبتُ فيما مضى في هذا الكتاب عن الـدكتور الجـادر-رحمـه اللـه تعالى- ، إلاّ أنّي سأذكرُ هذا المقال تأكيداً لوفاءٍ كبيرٍ، وحـبٍ عظـيمٍ لعـالمٍ يسـتحق منـا الكثـير والكبير...

ولد الدكتور الجادر في الموصل سنة 1937م، وتُوفي في بغداد 2007م.

برز الدكتور الجادر واحداً من أعلام العـراق والـوطن العـربي في الأدب العـربي والنقـد الأدبي ولاسيما في الشعر الجاهلي، وله في هذا الأدب أكثر من مؤلَّف واحد كـما سـيأتي في هـذا المقال، وكما مرَّ في المقال القادم من هذا الكتاب.

نال الدكتور الجادر رسالة الماجستير عن رسالته الموسومة بـ: (الثعـالبي ناقـداً وأديبـاً)، وأمّا الدكتوراه فنالها عن أطروحته الموسومة بـ:(شعر أوس ورواته الجاهليين)، وكلاهـما طُبـع في بغداد والوطن العربي.

أشرف على رسائل وأطاريح علمية كثـيرة أثنـاء مزاولتـه التعلـيم في جامعـات العـراق، والجامعات التي عمل بها خارج العراق، وكانت تلك الرسائل والأطاريح من الجهود المميزة في العلم والدرجة والمنهج.

ومثلما أشرف على تلكم الرسائل، ناقش عـدداً كثـيراً مثلهـا وشـهد لـه الجميـع بـالعلم والتمكن من المادة التي يطرحها أثناء المناقشة، كما أنّـهُ يسـمح للطالـب بـالرد الـرد العلمـي والمنهجي إذا كان يمتلك ويتمتعُ بروحٍ علميةٍ وثابةٍ للطالب وبحثـه وأسـتاذه المشرف، وللجنـة المناقشة ولاسيما إذا كان رئيساً لتلك اللجنة.

خلّف الجادر أرثاً علمياً طيباً في التحقيق والتأليف وكتابة تاريخ الشعر الجاهلي، وفضلاً عن الكتب التي ذكرتها في بدء هذا المقال والكتب التي ذكرتها في المقال القادم من هذا الكتاب،

أودُّ أنْ أذكر من كتبه المهمة:دراسات نقدية في الأدب العربي، ودراسات نقدية تحقيقية في مصادر التراث العربي...مع الكتب الأخرى المحققة، والبحوث والمقالات، والتعقيبات والشعر فالجادر، شاعرٌ أيضاً وله من القصائد الحسان كما في كتبه وأخلاقه فرحمه الله في كلِّ شيء.

الدكتور محمود عبد اللـه الجادر

بين فن التحليل، وعلم التحقيق.

الدكتور الجادر - يرحمه اللـه - أديب، وناقد، ومؤلف، ومحقق شهد الجميع - داخل العراق وخارجه - له بالفضل وسعة العلم، وكثرة الاطلاع حتى قال أهل الأردن ومصر: (أحسن من كتب عن الأدب الجاهلي في العصر الحديث هو الدكتور العراقي محمود عبد اللـه الجادر).

وللدكتور الجادر أكثر من مؤلف وأكثر من تحقيق جاءت لتعكس خبرة سنين من البحث والكتابة والتدريس، ومن هذه المؤلفات والتحقيقات: (الثعالبي ناقداً واديباً، وشعر اوس ورواته الجاهليين، ودراسات توثيقية وتحقيقية في مصادر التراث، ودراسات نقدية في النادب العربي، وقراءة معاصرة في نصوص من التراث الأدبي العربي، وديوان الثعالبي - تحقيق، واللطف واللطائف للثعالبي - تحقيق، وأجناس التجنيس للثعالبي - تحقيق) فضلاً عن بعض الكتب المؤلفة بالمشاركة مع أساتذة الأدب العربي كالدكتور نوري حمودي القيسي والدكتور بهجت ألحديثي... وغيرهما.

في علم التحقيق يبدأ الدكتور الجادر بدراسة المصنّف الذي يحقق مخطوطته من حياته، ورحلاته، ومؤلفاته، وغير ذلك ويهتمّ بوصف المخطوطة، وأماكن تواجدها ويثبت نماذج من مصورات مخطوطات التحقيق وعمل التحقيق فيه واحياناً ينقد طبعات الكتاب الذي يحققه أو ينتقد من سبقه في تحقيق المخطوط ويكون هذا النقد بأسلوب علمي رصين وبأدلة علمية وافية وغالباً ما يتضمن هذا التحقيق هفوات المحقق السابق وهنّاته، والمسوغات والمبررات التي دعته لإعادة التحقيق والفوائد المرجوة من هذه

الإعادة، ومنفعتها للمخطوطة ولصاحبها، وللقارئ والدارس، وهوامش الدكتور الجادر وافية من حيث الشروح والتعليقات والتخريجات وجهد المحقق فيها واضح بيّن وهو في هذه الهوامش يطلع على آخر المظان وأصولها، وأدقّها، فيتكامل عمله ويقرب إلى الصواب والصحة والدقة، وأما في الفهارس، فقد وضع المحقق الجادر الفهارس العلمية والفنية التي يستحقها كل كتاب يحققه، وكانت دقيقة وعملية للقارئ ومتتبع أعمال التحقيق عند الجادر - يرحمه الله -.

وفي أدب التحليل فالدكتور الجادر له نظرية واسعة في هذا الأدب ولعل اكبر دليل على قولنا هذا هو نيل رسالة ماجستير بعنوان (الثعالبي ناقداً وأديباً) ومن هنا فالناقد الجادر له أسلوبه الرائق الرائع الذي لا يُمل ولا يُسأم يسحرك أسلوبه وأنت تنتقل بين نصوصه المحللة من نص لآخر ومن شاعر لغيره وهو في تحليله للنصوص الشعرية يدرس حياة الشاعر دراسة وافية ومن ثم يبرز قيمة النص الذي يحلله في حياة هذا الشاعر ويوازنه بديوانه أو مجموع شعره ويعمل الدكتور الجادر المسارد والجداول الخاصة التي تفيد المتلقي في معرفة أغراض الشاعر ولوحات قصائده ومقطوعاته وأهمية هذه اللوحات والقصائد في النص الذي يحلله وعلى سائر شعره.

في النهاية اسأل الله الرحمة والمغفرة لأستاذنا الراحل الجادر، لقد كان نعم الأستاذ والمربي الفاضل والعالم الناقد والأديب المحقق سائلاً المولى أنْ يجعلنا من طلبته العاملين المخلصين لا المتشدقين والمتباهين بالسمعة بأنه تلميذ الجادر أو سميره أو رفيقه ولينسوا قول المتنبي:

اجزني إذا أنشدتْ شعراً فإنما ... بشعري أتاك المادحون مردّدا

في حضرة الأستاذ الجامعي.

قبل البدء بالكلام، يجب أن أقول أنّي لست الأستاذ صاحب اللقب، أو الدكتور، أو التدريسي في كذا ولا..ولا..ولا..، أنا مجرد ضيف- وقد أكون ثقيلا ومزعجا على الكثيرين- ، أقول بما رأيت أو سمعت، ولا أستطيع الحكم أو التقويم، فذلكم متروك لكم، أو عليكم!

وطبعا سيكون الأنموذج الذي سنتكلّم عليه في هذا المقال هو الأستاذ الجامعي العراقي.لهويّة الكاتب، ولمعرفته بهم، ولقربه منهم، وربّما لايبتعد عن الأنموذج الآخر العربي والتركي. .....، أوغير ذلك.

ممّا بعجيني، وليس في أرض أندلس طبعا!!، أنّ بعضا من الأساتذة الجامعيين في العراق نسوا أصالتهم البحثية، ومقدرتهم الإبداعية في البحث والتأليف والنشر. وقولي (الأصالة والمقدرة)، فيه الكثير من التحفظ والحذر، إلا إنّي سأصفهم بها مكرها، لعدم التجني على احد منهم ولخوفي من النقد من بعض مبدعيهم، وباحثيهم، وهم قلّة، وفي نقص شديد، وضياع كبير.

أرسلت عشرات الرسائل الالكترونية منذ امتلكت شبكة المعلومات الدولية(ألنت)، ومنذ مدة قصيرة، فلم أتلق الرد من اغلب الأساتذة الجامعيين العراقيين المرموقين داخل البلد أو خارجه. ولاسيما من المقيمين في الدول العربية، أو دول أوربا، أو أمريكا. وعلى الرغم من إنّ رسائلي البسيطة(المادحة!)قد وصلت إليهم، وعلى الرغم من استطاعتهم تلبيتها على أحسن وجه، وأكمل صورة، ولكن لاحياة لمن تنادي، ولا وفاء لمن تحبّ، ولا عرفان بما تصنع.

والمشكلة ليست في هذا كلّه، مع عظمته وأهميته الشرعية والعلمية والأدبية، وإنّما في صفات هذا الأستاذ أو ذاك؟!وما يكتبه الآخرون عنه بتبجيل واحترام؟ وما يشيعون عنه من صفات الالتزام، والاحترام والمحبّة للعلم والعلماء، وهو لايمتّ لها بأيّة صلة، وبأدنى علاقة!

والآن لنعد إلى الأستاذ الجامعي داخل البلد.من المدهش أن أرى زميلي الأستاذ المحترم، والدكتور الفاضل يقدّم التقديم الرائع والمحترم لمجلس شيوخ عشائر(بخارى)، أو للمجلس السياسي الجديد في (طشقند)، وهو لايعرف كثيرا ممّا يجري في قسمه العلمي، وفي كليته، وما أهمية النجاح لطلابه، وما أهميته الوظيفية في ذلك القسم، وتلك الكلية، وأولئك الطلاب الذين ملّوا من وعوده بإعادة الامتحان، والتركيز على المادة العلمية القادمة، لكي ينجحوا على الأقل، ولا يرونه بعد عامهم هذا. ..فاللقاء حرام، والسؤال حرام، والسائل مذموم، والمجيب معذور، لانشغاله بأمور السياسة، والعشائرية، المهمة، وإلّا ضاع البلد، وفقدت المدينة، من ثمّ فما فائدة العلم، ونجاح الطلبة، أو كتابة البحوث؟! وهو رأي جدير بالاحترام والتقدير، بل؛ والثناء ولاقتداء!

والآخر، من الأستاذ الجامعي الذي أتكلّم عنه، منهمك في أمور البناء والتشييد والأعمار والنقوش وصنع الزخارف لبيته العالي الأركان، الغالي الأثمان، والتي قيمة نقوشه وزخارفه ما يعادل مطبعة أو أكثر. مكتبة أو اكبر، ونسي أو تناسى تماما واجبه المقدّس الذي أوصله - في يوم ما- إلى هذه المكانة العليا من المرمر، والسيراميك، والكاشي، وغرفة الضيوف، والرسبشن، وذهب الزوج النفيس، والسيارة الفارهة التي يمتلكها، والتي لايمكن لكثيرين حتّى من النظر إليها وركوبها ولو على سبيل الضيافة، فكيف بامتلاكها والسير بها؟ إنّها سيارة الأستاذ الجامعي ولاتحقّ لغيره.

ومما يؤسفني جدا، ويؤلمني كثيرا من بعض الأساتذة الجامعيين في تكريت أني أرسلت إلى أحدهم كتابي الأخير عن أدب أبن عاصم الغرناطي.وبقي الكتاب في مكتبه أكثر من شهر واحد، لم يسأل عنه ولم يعترف بفضل مؤلفه إلى أن أرسلت في إعادته إلى صاحبه وأعيد والى ألآن لم يخطر في باله أو يكون من وكده السؤال عنه وعن من جلبه إليه!على الرغم من رسائل الجوال الكثيرة التي أرسلتها لأخي الأستاذ الجامعي المحترم والترميشات المجنونة التي قمت بها والتي اعرف بها غالبا؟وحضرته لاه بمجلس المحافظة المؤقر، وبانتخابات المجالس البلدية الجديدة. والحيرة فيما تقول لطلبته الذين أرسلت معهم الكتاب، وكيف سيحترمون مثل هكذا شخص فيما بعد ويتخذونه قدوة في حياتهم العلمية والعملية. وتصوروا حجم المفارقة وقوة وقعها.

وأقول بعد هذا الكلام كلّه، وبعد عام على السنة الدراسية المعيشة، فيها ما فيها من انجاز علمي وبحثي محمود ومقروء وصل فيه بعض من الأساتذة إلى أعلى المراتب، والدرجات بفضل اجتهادهم وسعي وحبّهم لعملهم وعلمهم.فقد شاركوا في الكثير من المؤتمرات والندوات العلمية والمهرجانات الشعرية، ويوالون الإصدار العلمي خلف الآخر، والبحث تلو البحث، والمقال بعد المقال. ويسعدني أن أثني في هذا الشأن على أبناء الحلّة الفيحاء وعلى حبّهم للعلم وخدمته أحسن خدمة من الطبع والإشهار، وإقامة المجالس الأدبية المفعمة بالحركة البحثية، والمدعمة من كبار أهل البحث والتحقيق والتأليف.وللأسف بقي الكثير من الأساتذة الجامعيين في القاع، وانهوا شخصياتهم العلمية، وبدّلوها بأخرى سياسية أو عشائرية أو اعمارية، أكثر ممّا كانوا عليه في هويتهم الجامعية، وفي نسبهم الشخصي والاسمي والإداري بهذه الوظيفة ، ولا أظنهم سيعودون إلا بعد حين........، ولو برسالة الكترونية.

ويسمّونه العلم يالميعة.. ..ويسمّونه العلم.

هذه ليست وصلة غنائية، أو مولا قد يلحن أو يعزف أو ينشد، وإنما تنهدات قلب، وآهات عقل انفثها من صدر مجروح متألم، للسنين وللجميع ليصبوا عليها من تراتيل أفكارهم، وتراتيب مشاعرهم، وأعيدها في إطار جماعي، وصورة حقيرة للبعض الغائب المجهول، واضعها تحفة للسنين على صدر المحبين، ومن يسمعون القول فيتبعون أحسنه.

كثير شيب الشعر، متجعد الوجه، تسريحته التي تأتي بدقة موزونة، وحساب لكل شيء مع جبهته السمراء، لتكوّن وسامة مألوفة ومحبة مفروضة.صوته المجلجل الحزين القادم إلينا من مدينة الثلج والضباب والدفء، من عين غزالة، حبّه لبغداد وللسياب، وإنشاده لشعره، وحديثه الشيق الكبير عن لميعة عباس عمارة وشعرها...هو من جعلني اسم هذا المقال بهذا العنوان، فإلى خالد علي مصطفى، الخالد بفكره وشعره ونقده، وتبجيله لشعر لميعة وقصائدها، مضيت وبقي فينا شعرك، ومضى حبك يالميعة وبقي لدينا العنوان، ونسائمه، وبقيت إشادة أستاذنا فيك، فمنك واليك نقول الآتي.

من العجب العجيب أن يتفق ثلة من الجامعيين لتشويه سمعة أخيهم الذي بذل شوطا في النشر والإشهار، لكتبه وبحوثه ومقالاته، وسعيه لخدمة هذه الثلة على علّاتها التي لاتوصف والتي لاتحدّها حدود، أو تعقلها عقول!وبعد كل ذلك...يسمونه العلم.

ومن العجب الشديد، والدهشة المحيرة أن ترى الشائعات التي تنال من رئيس القسم الفلاني، أو من العميد الفلاني، أو من احد معاونيه، أو من أي شخص ينتمي إلى هذه المهنة الشريفة، وما إلى ذلك إلا لهفوة بسيطة، ومتوقعة ومألوفة، أو لتوبيخ متداول في الأمور الإدارية ومع الأشخاص كلهم....ويسمونه العلم.

ومن الطرائف العلمية والكلام بيننا سرّا، إذ لايعرف بهذا الجاحظ ولم يسمع به القرطاجني !أنّ البعض من أهل العلم المخلصين حاول جمع شعر الشاعر عكاشة من العصر العباسي الأخير، وقلنا له مرارا وتكرار وكثيرا أنّ للشاعر ديوانا محققا كبيرا، نشر في مدينة الموت بتحقيق العالم والمحقق الفلاني...، ولم يلتفت إلى كلامي أو كلام غيري وراح يصدر المجموع البائس والمخزي بشكل فقير إلى المنهج العلمي الصحيح والمعروف، ويمشي مختالا بعلمه وبصنعته التي لاتجارى ولاتبارى في ميدانها...ويسمونه العلم.

ويصدر كتابي الجديد (المستدرك على صناع الدواوين والمجموعات الشعرية الأندلسية)، أنا اعرف أن فيه بعض الأخطاء المطبعية لظروف سوريا الحبيبة وأمور النشر فيها والآمان والمعيش، ولأني صححت اغلبه والكثير منه على عجالة بسبب الامتحانات والأمور الوظيفية الصعبة في نهاية العام الدراسي كما يعلم الجميع.وبدلا من ألقى التحية والاحترام على ما صنعت والشكر بما اصنع دائما، ألقى الاتهام بعدم التوقير والتقديرللاستاذ الكبير وهو استأذنا وشيخنا، واني لم احترم جهد العلامة الفلاني والدهشة أن يأتي هذا الكلام من أستاذ حسب على أهل العلم كثيرا وعلى أهل الفهم غالبا. ولا أدري لماذا أو كيف؟!...ويسمونه العلم.

إن العلم الحقيقي عند الدكتور صباح نوري المرزوك- حفظه الله- ، بقي أكثر من شهر واحد وهو يراجع إلى الأقسام الداخلية في جامعة بابل ليسأل عن طالب من الانبار ليرسل لي والى المكتبات هداياه التاليفية الجديدة، وهو كبير السن، نظارته الكبيرة والواسعة تدل على ضعف بصره، وعصاه المعقوفة من نهايتها العليا تدل على عوق في رجله اليمنى، وصعوبة السير كالأسوياء الأصحاء. فهذا هو العلم.

والعلم عند الأخ المحقق الدكتور عباس الجراخ الذي ترك حتى عائلته الصغيرة والتزاماتها الاجتماعية الكثيرة والمتشعبة، وانزوى في غرفة على السطح الحار ليخرج

الكتاب تلو الكتاب، والعمل بعد العمل حتى وصلت إلى ثلاثين مصنّفا، يقف في مقدمتها وأعلاها كتابه القيّم عن تحقيق النصوص اللغوية والأدبية ونقدها في العراق، وتحقيقه الخرافي لذيل مرآة الجنان لليونيني، وتحقيقه لمعجم الشعراء للمرزباني، أليس هذا هو العلم؟

والى شاكر ألعاشور تحية إجلال وإكبار، وهو يخرّج لنا النص تلو النص، والعمل بعد العمل، من التحقيق والتأليف، والديوان، حتى أنّ احد الطلبة درسه للماجستير بعنوان:(شعر شاكر ألعاشور- دراسة موضوعية فنية-)، فلم يهدأ له بال إلا وطبع الرسالة على حسابه الشخصي وهو رجل متقاعد، ولا يملك ذاك المال الوفير لمثل هذه الأعمال وصرفياتها......لكنه العلم.

والى المحقق عبد العزيز إبراهيم، والى د.عبد الهادي خضير نيشان، والى د.عمر إبراهيم توفيق،. ..وغيرهم، والى كل العلماء من العلوم الأخرى، والى دور النشر الأصيلة داخل العراق وخارجه وهي تنشر هذه الجهود، انتم أهل الأمانة الثقيلة الشديدة، فلنكن على قدر هذه الأمانة، وإلا تكلم الخراصون وتبجّحوا أكثر بكثير مما هم عليه الآن.....

لجمع الشعر ونشره أصولٌ وقواعد.

الحقيقة تهافت الجميع من الباحثين والدارسين- الجامعيين وغيرهم- على جمع الشعر ونشره في المجلات العلمية المحكمة داخل العراق وخارجه.وهذا التهافت لم ينج من هفوات وثغرات، بحثية تارة وأصولية منهجية تارة،. ...وثالثة....وهلمّ جرّا.

وقد وقفت باخرةٍ على بعض المجموعات الشعرية التي كثرت فيها الهفوات والثغرات، فأحببت أن أذيع بعض أصول جمع الشعر وقواعده الرئيسة للانتفاع منها، ومن الله التوفيق والسداد.

فمن الأصول المهمة في هذا العلم الجليل، السؤال عن نتاج الشاعر وأدبه وهل يستحق جمع الشعر أولا.وهذه القاعدة المهمة تحددها كثرة القراءة عن الشاعر من قبل الجامع، وتتوقف عليها الكثير من الأسئلة المنهجية فيما بعد، وأهمها:شعر الشاعر، وأهميته لعصره ولعموم الأدب العربي.وعلى هذا المفهوم يجب ألا يقل الشعر المجموع صحيح النسبة للشاعر الذي نجمع شعره عن مائة بيت، حتى تكون وافية لمعرفة ظروف الشاعر المعيشية (السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية)وملابسات تلك الظروف وكيف أثرت في شعره، ودوافع القول لديه.

ومن ثمّ على الباحث أن يبدأ بدراسة وافية عن حياة الأديب (الشاعر)الذي يجمع شعره وأدبه، وعلى وفق المسميات الآتية:اسمه ونسبه، رحلاته، مؤلفاته، وفاته.وعليه - جامع الشعر- أن يبين للقارئ هذه المسميات بشكل علمي ومنهجي، فان قصرت به المظان، استخلصها من شعر الشاعر نفسه.

ولذا أسلفت القول إنّ على جامع الشعر أن يجد على الأقل مائة بيت من شعر الشاعر الذي يراد جمع شعره. لتكون كافية للإجابة عن كلّ تلك المسميات التي تدور في ذهن القارئ ويبحث عنها.

وينطلق الجامع بعدها لدراسة النواحي الموضوعية والخصائص الفنية للشعر المجموع.ففي النواحي الموضوعية، يكون الحديث عن الأغراض الشعرية التقليدية والمطورة والمستحدثة، ولابأس من الإتيان ببعض الشواهد من النصوص الشعرية المجموعة التي تدعم رأي الباحث وتقوي حجته العلمية والمنهجية على ألّا تطول تلك الشواهد بلا فائدة، ويترهّل العمل بتكرار الشواهد ذات الغرض الشعري الواحد، والفكرة الواحدة.

وأما الخصائص الفنية، فعلى الجامع أن يتوسّع فيها ولو بشيء يسير عن النواحي الموضوعية.لأنها هي التي تبرّز القيم الجمالية لشعر الشاعر، وتجعله من أهل الصنعة المتمكنين، ومن أهل الشعر المبرزين.ولابأس من الحديث في هذه الخصائص عن بعض الفقر الجديدة في الدراسة الفنية، كاللون ودلالاته، وبعض الحواس المؤثرة في صور الشاعر وموسيقاه، والمفارقة أن وجدت وتأثيرها السحري على الشاعر وشعره.

ولابدّ من الحديث أيضا عن الفنون الأخرى التي وجدت عند الشاعر، وإبراز القيم الدلالية، وميزات الابتكار لهذه الفنون عند الشاعر وفي عصره، ولعلّ من هذه الفنون الرسائل النثرية، أو النصوص النثرية الأخرى من التوقيعات والأقوال البليغة، والتخميس والتوشيح(ولاسيما عند شعراء الأندلس والعصرالوسيط)...وغيرهم.

على ألا ينسى الجامع أن يختار عنوانا ملائما لهذا النتاج الأدبي إن وجدت في مجموع الشاعر، ومن تلك العنوانات:ابن فلان- كذا- ، حياته وآثاره الأدبية، أو حياته

وما تبقى من شعره ونثره، أو حياته مع ماوصل إلينا من شعره ونثره وتوشيحه، أو أدب ابـن فلان.......وهكذا.

ومن ثمّ يأتي الجامع إلى الخطوات المنهجية والعلمية التي سار عليها في جمع شـعر الشاعر ونثره. ..وحبّذا لو كانت هذه الخطوات بأرقام متسلسلة. ويؤسفني في الاوانة الأخيرة أن أكثر المحققين وجامعي الشعر لم يضعوا هذه الخطوات بحجة كمية الشعر القليلة، أو أنّ الأمر لايستوجب لان المنهج واحد ومعروف في التخريج والتوثيق، وهـذا ما لايصحُّ أبدا مع مثل هذه الأعمال المهمة، والخالدة.

وفي تخريج الوحدات الشعرية، على جامع الشعر أن يرقّم كلّ وحدة شعرية بتسلسل رقمي حتى نهاية آخر الوحدات الشعرية المجموعة، وعلى وفق الترتيب الابتثي لقوافي الوحدات الشعرية نفسها، وعلى وفق حركات الروي القوية ثمّ الروي الساكن، فالمطلق بالألف، وأخيرا المطلق بالهاء.

وفيما يخصّ المظان التي يخرجها الباحث، فيجب أن تكون في نهاية كلّ وحدة شعرية، الأقدم فالأقدم، وأن يرقم الأبيات الشـعرية داخل كل وحدة، وان يشـرح مافيـها وبما يستحق الشرح والتعليق من الكلمات الصعبة، والأحداث، وأن يعرف الشخصيات، والأماكـن ، وكلّ ما يستحق الشرح والتعقيب والتعليق، على ألّا يبالغ بهـذا الشرح وتلك الترجمة وذلك الحـدث وبدون تكرار أو أحالة على المصادر الكثيرة التي من شأنها أن ترهّل العمل وتجعله كثير الصحائف، قليل الفوائد!

وأن يكون الشرح والتعقيب والتعليق على المفردات، والأحداث، والأماكن والشخصيات بحسب كلّ بيت شعري، ومن خلال رقم هذا البيت داخل الوحدة الشعرية المجموعة.

وإذا انتهى من جمع الشعر صحيح النسبة لشاعره، على الجامع أن يفرد حقلاً خاصاً للشعر متدافع النسبة بين شاعره والشعراء الآخرين في عصره، أو مكانه، أو مع ممدوحه...وما إلى ذلك.

وإذا وصل إلى القطع النثرية على الجامع ألّا ينتزع النصوص الشعرية المتواجدة في هذه القطع لان ذلك يسيء لتلك القطع ومدلولاتها وما جاء الشعر من أجله ولأجله.

ومن الأفضل أن يختصّ جامع الشعر بالعصر الذي درسه أو الذي تخصص به في أثناء الدراسة الجامعية، أو أيّة دراسة حرص عليه، لان ذلك سعود بالفائدة العظمى على عمله وجمعه.والحقيقة جرّب أكثر من باحث ومحقق الخوض في مجالات غير اختصاصهم فلم تسعفهم معلوماتهم كثيرا وأبقى على أعمالهم ومجموعاتهم في ضعف وتشتت، وكانت عرضة للنقد، والاستدراك، والإضافة بشكل كبير ومؤثر.

ومن الأهمية بمكان منهجيا وعلميا، أن تكتب دراسة علمية للشاعر وعصره، وألّا تكثر الشروح والتعليقات، وأن تثقل تلك الدراسة بالهوامش الثقيلة، والطويلة، وأن تكثر المعلومات المعروفة وتتكرر لمجموع شعري لايتجاوز الأربعين بيتا أو ربما أقلّ من ذلك.كما فعل الكثيرون- وللأسف الشديد- من أهل هذه الصنعة فافقدوا أعمالهم الجدة والابتكار والأصالة، وكان بالإمكان أفضل مما كان بكثير......

ومن الأمانة العلمية الملزمة أن يشير الجامع إلى من سبقه في جمع الشعر، والمسوغات التي أوجبت إعادة الجمع وتخريجه ونشره من جديد.

وفي النهاية، أرجو من الجميع أن يقدموا أعمالهم للنشر، بل ونشرها وتوزيعها التوزيع الأمثل، للباحثين والمختصين ولأهل المكتبات العامة، والشخصية، ولمكتبات الجامعات ومراكز العلم البحثية والثقافية، فلايمكن أن يقول الباحث اللبيب، والجامع النحرير، والمحقق الثبت، أنّ شعر فلان مجموع في مكتبتي الشخصية، أو عن شعر

فلان أنّه قيــد الإشهار والإصدار، وعن شعر ثالث سيصدر قريبا فمثل هـذه الوعـود أصـبحت باطلة منهجا وعلما وعرفا.فمثل هذه الأقاويل ملّ منها الباحثون والدارسون والمختصون، وهم في حيرة وغفلة ودهشة بين الكلام المتفائل، والواقع المكذب.

إسهاماتُ اللون

في تشكيل الصورة الشعرية عند الشاعر الكفيف.. الأعمى التطيلي الأندلسي أنموذجاً.

مثلما مثلت الالون ملمحاً من ملامح الطبيعـة السـاحرة، وخَلقـاً مـن تجليـات الكـون الفسيح المحير على أرض الواقع، مثلما مثلت أصالة من أصائل تشكيل الصورة وايحاءتها عنـد الشاعر العربي قديما وحديثا.

والشاعر الكفيف من أولئك الذين الشعراء الذين اسـتنطقوا اللـون بدلالتـه ومكوناتـه وعبروا من خلاله عن تجاربه، وأحداث العصر الذي عاش فيه.

ويحمل كل لون من الألوان دلالة معينة وبعدا نفسيا وفلسفيا ما، وربمـا تكـون هـذه الألوان والدلالات غير خافية عن الكثير منا. فاللون الأخضر غالبـاً مـا يقـترن بـالربيع ونسـائمه ولطافته. واللون الأحمر كثيراً ما يدل على الدم والحرب والرعب.واللون الأصفر أكثر ما يـرتبط بالذهب والشمس وما ينتجُ عنهما من دلالة. واللون الأسود لاياتي في شيء إلاّ ويثير فينا الحزن والكآبة والألم... وهكذا.

وشاعرنا الذي نقف عنده اليوم في هذا المقال، هو الشاعر الأنـدلسي الأعمـى التطـيلي. وهو شاعر ووشاح كبير، له ديـوان ضـخم مطبـوع بتحقيـق الـدكتور إحسـان عبـاس، وبعـض المستدركات التي نُشرت هنا وهناك.

وهو شاعر كفيف، ألمَّت به الخطوب، وجار عليه الزمـان والـعصر، والحيـاة وتركتـه في شـدائد، وعـوزٍ، وقحـطٍ، أُضـطر لمغـادرة بلـده، ولمـدح الكثـيرين في سـبيل لقمـة العـيش الصـعبة.تُـوفي شـاعرنا التطـيلي في سـنة 525هــ في عصر المـرابطين في المغـرب والأنـدلس.

ذلك العصر الذي يظن كثيرا من الباحثين انه جنى على الأدب العربي وشعره في تلك الاقصاع البهية من أُمتنا العربية.

ومن تشكيلات الألوان في صور التطيلي الشعرية، قولُهُ:

وبيدٍ كأيامِ الصدود ترى الضحى   بها شاحباً لا من مشكاة ولا

فهذه صورة مرئية تقوم على الألوان تركيبا ودلالة يعكس الشاعر من خلالها وجه الضحى شاحب اللون، ووقت الضحى كما هو معلوم تكون فيه الشمس لاتزال مائلة لم تبلغ وسط السماء. ويكون لونها في الصحراء، ذلك المكان المقفر المعادي باهتاً شاحباً!فأنظر إلى دلالة اللون والمكان، وكيف أُستغلا من شاعر كفيف؟!

يقولُ يصف ظاهرة السراب:

إذا سرحتْ بصرُكَ قلت: بحرٌ   يذلُّ الطرفُ فيه ويستكينُ

وقد لمعَ السرابُ، فقلتَ:ماءٌ   وجال الصيفُ فيه، فقلتُ:نونُ

فالصورة جمعت بين دلالة المكان، ودلالة اللون، ومايوحيه هذا السراب على بني البشر في كل مكان، والمبصرين قبل المكفوفين. ونرى أثر اللمعان بادياً على هذه الصورة التي هي حياة التطيلي، وشكواه من كل شيء، ولأيٍّ شيء.

إذن، لقد تكاتفت عناصر عدة لتشكيل هذه الصورة عن التطيلي، ومنها الزمن وهو عصر المرابطين وما فيه بالنسبة لشاعرنا التطيلي. والمكان الصحراء ومافيها من غربة، حزن، وصمت. واللون اللمعان وما فيه من ضياء وبريق. والحركة في سرح وجال. كل هذه المكونات أنتجت صورة التطيلي البلغية والمحكمة، كما قدمنا وهو شاعر كفيف كما عرف الجميع!

وتنثال صور التطيلي الشعرية انثيالا كبيرا، وللون والضوء المرتبط به، من بين المكونات المهمة لتلك الصورة، وسأقطف من ديوانه هـذه الـنماذج تاركـاً للقـارئ التأويـل، والتفكـير في مكونات صور الشاعر المكفوف التطيلي، وكيف استخدم الألوان وعبر عنها مـن خـلال صـوره عن كل مـا مـر بـه مـن تجـارب وأحـداث. وأمـا أنـا في لقـاء آخـر في مقـالٍ جديـد، أو كتـاب جديد...والى لقاء.

يقول التطيلي:

قمتُ أسقيه من لمى ثغره العـذ   بِ عـلى صـحن خـده المرقـومِ

بـين ليـلٍ كـخضرةِ الـروضِ في   الحســنِ كعرفــهِ في الشـــيمِ

ويقول أيضاً:

وما احمرَّ إلا من صيالكِ معـركٌ   ولا اخضرَّ إلا مـن نـداك جنـابُ

ويقول في ممدوحه:

بـاهرٌ كالصـباحِ و أيهـمٌ كالليـلِ   عمـيمٌ في كـلِّ خطـبٍ عمـيم



تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
تلفاكس : 5353402 6 962+ خلـــوي : 95667143 7 962+
ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن E-mail: darghidaa@gmail.com

9789957555818